مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

مجلّة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد الثّالث والعشرون
شهر رمضان-١٤٤٥هـ-نيسان ٢٠٢٤م

مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

المشرف العام
سماحة السيد أحمد الصافي

الإشراف العلمي
السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير
السيد عقيل الياسري

مدير التحرير
الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير
الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي
مصطفى كامل محمود
أحمد كاظم الحسناوي

التصميم والإخراج الفني
علاء سعيد الأسدي

المحتويات

أوراق قرآنية

١- قصة النبي إبراهيم عليه السلام/ السيد محمد حسين الطباطبائي ١٠
٢- إعجاز القرآن من وجهة الاستقامة والسلامة... / العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي ١٥
٣- أعجب آية باهرة / الشيخ محمد هادي معرفة ١٧
٤- سورة الفاتحة/ السيد محمد باقر السيستاني ٢٠
٥- الصِّديقون والشهداء / السيد عبد الأعلى السبزواري ٢٦

أوراق فكرية

١- الإيمان والأحكام/ شيخ الطائفة الطوسي ٢٨
٢- الاحتياج إلى الإمام في كلِّ حال/ الشريف المرتضى ٣٣
٣- تفسير الشريعة وفائدتها وحكمة وضعها/ الشهيد الثاني ٣٥
٤- مسألة تقدم المفضول على الفاضل/ السيد علي الميلاني ٣٦

أوراق علمية

١- مدرسة النصِّ ومدرسة الرأي/ الشيخ باقر الايرواني ٤٠
٢- الرشيد والوضوء/ السيد علي الشهرستاني ٤٣
٣- الزبدة في كيفية التعامل مع أحاديث الكافي وما هو دونه/ السيد محمد رضا السيستاني ٤٧
٤- قاعدة التجاوز والفراغ والقرعة/ الشيخ جعفر السبحاني ٤٩

أوراق تاريخية

١- عبد الله بن عباس مع معاوية في أيام حكمه/ السيد محمد تقي الحكيم ٥٢
٢- خروج السفياني/ الشيخ باقر شريف القرشي ٥٩
٣- الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والحسن عليه السلام / محمد تقي الفلسفي ٦٣
٤- فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام/ الشيخ جعفر كاشف الغطاء ٦٦

أوراق اجتماعية

١- عذاب الفاسق/ المحقق الحلي ٧٠
٢- عناية الإسلام بالمرأة وحفظ حق الزوجة/ السيد محسن الأمين ٧٥
٣- حقوق المجتمع الإسلامي/ السيد مهدي الصدر ٧٨
٤- لغة الحب وتأثيرها في شخصية الإنسان/ السيد منير الخباز ٨٥

أوراق ثقافية

١- نون والقلم وما يسطرون/ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٩٦
٢- فوائد في كتابة البحث/ السيد محمود المقدس الغريفي ٩٨
٣-فقه اللغة وعلم اللغة/ د. صبحي الصالح ١٠٦
٤- يا بن الهداة الأكرمين/ ابو الحسن علاء الدين الحلي ١٠٨
٥- بعض الحقوق / الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ١١٢

الورقة الأولى

أوعية العلم

إن صدور الرجال أوعية العلم، بها يحفظ من الغيِّ ومنها ينطلق ليثبَّت على وجوه الأوراق، وقد تناقلت أجيال العلماء العلم كابر عن كابر، حتى صرنا بفضلهم ننعم بحركة علمية ومعرفية عالية، ولولا تلك الجهود الكبيرة التي بُذِلت ما وصلنا من العلم إلَّا قليله، وما عرفنا منه إلَّا بعضه، ولكن شاء الله تعالى أن يوفِّق كوكبة من أعلام الطائفة ليحفظوا هذا الدين، وكأنَّهم جعلوا نصب أعينهم ما روي عن الحسن بن علي عليهما السلام أنَّه دعا بنيه وبني أخيه فقال: «**إنَّكم صغارُ قومٍ ويوشكُ أن تكونوا كبارَ قومٍ آخرين، فتعلَّموا العلمَ، فمن يستطعْ منكم أن يحفظَهُ فليكتبْهُ وليضعْهُ في بيته**»[1].

وقد علَّمنا الوحي أنَّ التفاضل بين النَّاس يكون على أساس التقوى والايمان، وهما يتوقفان على العلم والمعرفة والتفقه، فلا عمل دون فقه وعلم، ولا ورع دون معرفة الله تعالى وأوليائه الأطهار عليهم السلام، ولا تساوي بين العالم والجاهل مطلقاً كما عبَّر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2].

لذا فإنَّ الحاجة للعلم في غاية الضرورة لانّ مدار حركة الإنسان في هذه الحياة يعتمد اعتماداً دقيقاً على المعرفة والوقوف على حقائق الأمور.

لذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى كميل بن زياد قائلاً: «**يا كميلُ ما مِن حركةٍ إلَّا وأنتَ محتاجٌ فيها**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢،ص ١٥٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٩.

إلى معرفة»[1].

حركة العلم تعتمد على أمرين: العلم نفسه، وحملة وأوعية العلم، وإذا اختلَّ أحدهما اختلَّت أوضاع وأفهام الناس، ومن لطف الله تعالى أنَّه وفَّر المعرفة وأعان البشر وهداه إلى الصراط المستقيم، ثُمَّ مدح حملة العلم من العلماء والفضلاء وأخيار البشر، ثُمَّ كان على رأس هؤلاء الأعلام هو عظماؤهم البشر والذين اصطفاهم الله تعالى حملةً لرسالته، الأنبياء والمرسلين وأوصياءَهم، ثُمَّ سار على هذا النهج نخبة من علماء الأمة، وقد بذلوا جهوداً كبيرة على مدار أكثر من ألف عام، باستمرار وعزيمة قلَّ نظيرها، مدركين أهمية حفظ العلم ونشره بين الناس، وبانت جهودهم عبر مؤلَّفاتهم وما أثر عنهم، وما يزالون يمدُّون الحركة العلمية بمزيد من الأبحاث المعرفية والنتاجات العلمية الرائعة.

يطلُّ هذا العدد من أوراق معرفية على أُطروحات معرفية في الموضوعات العلمية والفكرية والتاريخية والثقافية، نأمل أن تنال رضا أهل العلم وحملته، وهي جاءت لتنقل نخبة من الموضوعات المهمة عن حملة لواء المعرفة، وقادة العلم من أجِلَّاء أعلام الطائفة.

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحرَّاني، ص ٢٢٣.

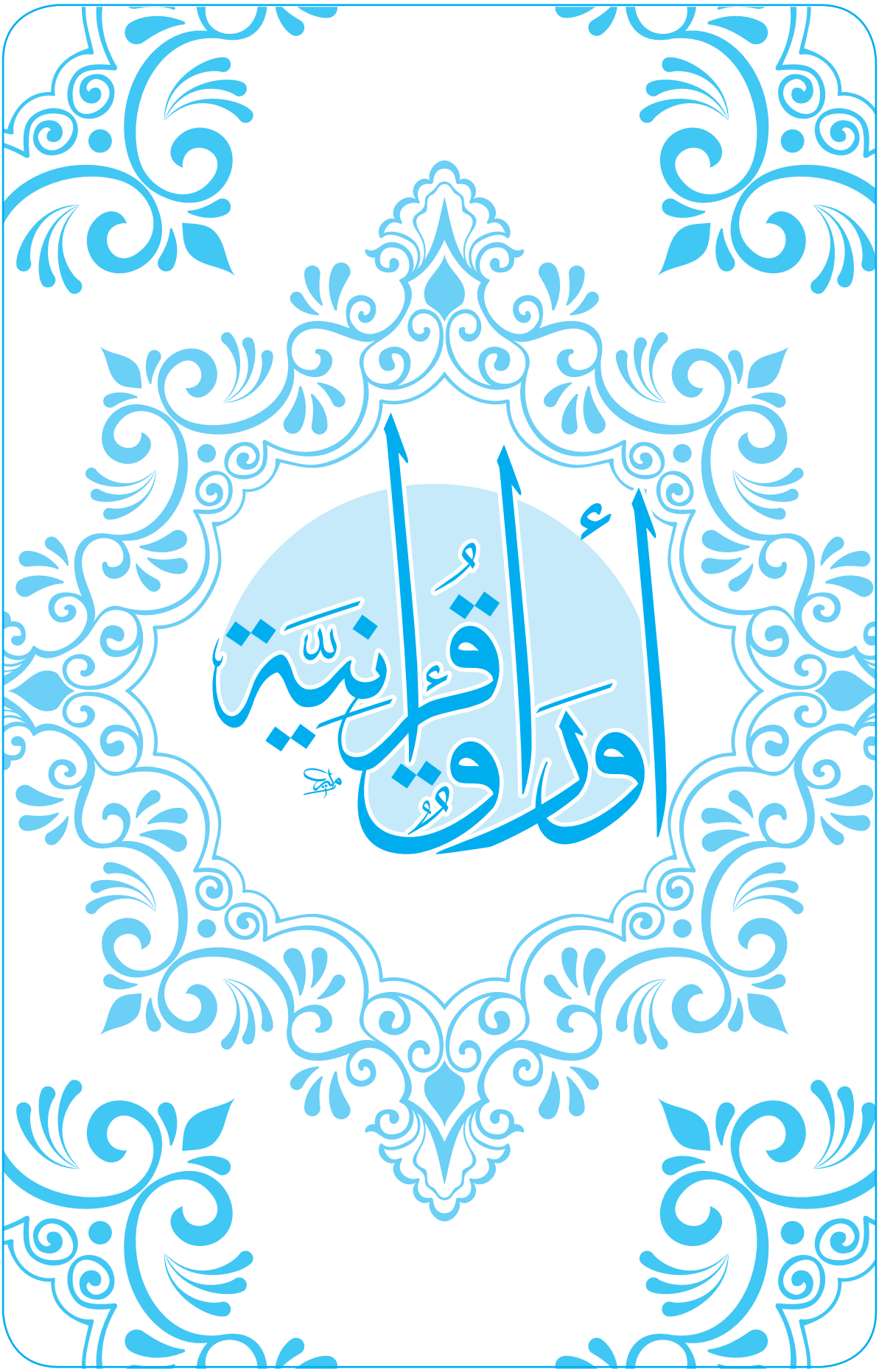
أوراد قرآنية

قصة النبي

السيد محمد حسين الطباطبائي

كان إبراهيم عليه السلام في طفوليته إلى أوائل تمييزه يعيش في معزل من مجتمع قومه ثُمَّ خرج إليهم ولحق بأبيه فوجده وقومه يعبدون الأصنام، فلم يرتضِ منه ومنهم ذلك، وقد كانت فطرته طاهرة زاكية مؤيدة من الله سبحانه بالشهود الحق وإراءة ملكوت كلِّ شيء وبالجملة وبالقول الحق والعمل الصالح، فأخذ يحاجُّ أباه في عبادته الأصنام ويدعوه إلى رفضها وتوحيد الله سبحانه واتِّباعه حتى يهديه إلى مستقيم الصراط ويبعده من ولاية الشيطان، ولم يزل يحاجُّه ويلح عليه حتى زبره وطرده عن نفسه وأوعده أن يرجمه إن لم ينته عن ذكر آلهته بسوء والرغبة عنها.

فتلطف إبراهيم عليه السلام إرفاقاً به وحناناً عليه وقد كان ذا خلق كريم وقول مرضي فسلَّم عليه ووعده أن يستغفر له ويعتزله وقومه وما يعبدون من دون الله (مريم: ٤١، ٤٨) وقد كان من جانب آخر يحاجُّ القوم في أمر الأصنام (الأنبياء: ٥١ – ٥٦، الشعراء: ٦٩ – ٧٧، الصافات: ٨٣ – ٨٧) ويحاجُّ أقوامًا آخرين منهم يعبدون الشمس والقمر والكوكب في أمرها حتى

ألزمهم الحق وشاع خبره في الانحراف عن الأصنام والآلهة (الأنعام: ٧٤ ٨٢) حتى خرج القوم ذات يوم إلى عبادة جامعة خارج البلد واعتلَّ هو بالسقم، فلم يخرج معهم وتخلَّف عنهم فدخل بيت الأصنام فراغ على آلهتهم ضربًا باليمين فجعلهم جذاذًا إلَّا كبيرًا لهم لعلَّهم إليه يرجعون فلما تراجعوا وعلموا بما حدث بآلهتهم وفتَّشوا عمن ارتكب ذلك قالوا سمعنا فتًى يذكرهم يقال له إبراهيم.

فأحضروه إلى مجمعهم فأتوا به على أعين الناس لعلَّهم يشهدون فاستنطقوه فقالوا: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون، وقد كان أبقى كبير الأصنام ولم يجذَّه ووضع الفأس على عاتقه أو ما يقرب من ذلك ليشهد الحال على أنَّه هو الذي كسر سائر الأصنام.

وإنَّما قال عليه السلام ذلك وهو يعلم أنَّهم لا يصدقونه على ذلك وهم يعلمون أنَّه جماد لا يقدر على ذلك لكنَّه قال ما قال ليعقبه بقوله: ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ حتى يعترفوا بصريح القول بأنَّهم جمادات لا حياة لهم ولا شعور، ولذلك لما سمعوا قوله رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: إنَّكم أنتم الظالمون ثُمَّ نُكِسُوا على رؤوسهم لقد علمتَ ما هؤلاءِ يَنطِقون، قال: (أفتعبدون من دون الله ما لا يضركم ولا ينفعكم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون).

(قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم فبنوا له بنيانًا وأسعروا فيه جحيما من النار وقد تشارك في أمره الناس جميعًا وألقوه في الجحيم فجعله الله بردًا عليه وسلامًا وأبطل كيدهم (الأنبياء: ٥٧ - ٧٠، الصافات: ٨٨ - ٩٨) وقد أدخل في خلال هذه الأحوال على الملك، وكان يعبده القوم ويتخذونه ربًّا فحاجَّ إبراهيم في ربِّهِ فقال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت فغالطه الملك وقال: أنا أحيي وأميت كقتل الأسير وإطلاقه فحاجَّه إبراهيم بأصرح ما يقطع مغالطته فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ

الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

ثُمَّ لما أنجاه الله من النار أخذ يدعو إلى الدين الحنيف دين التوحيد فآمن له شرذمة قليلة وقد سمَّى الله تعالى منهم لوطًا ومنهم زوجته التي هاجر بها وقد كان تزوج بها قبل الخروج من الأرض إلى الأرض المقدسة.

ثُمَّ تبرأ هو عليه السلام من معه من المؤمنين من قومهم وتبرأ هو من آزر الذي كان يدعوه أبًا ولم يكن بوالده الحقيقي وهاجر ومعه زوجته ولوط إلى الأرض المقدسة ليدعو الله سبحانه من غير معارض يعارضه من قومه الجفاة الظالمين (الممتحنة: ٤ الأنبياء: ٧١) وبشَّره الله سبحانه هناك بإسماعيل وبإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وقد شاخ وبلغه كبر السنِّ فولد له إسماعيل ثُمَّ ولد له إسحاق وبارك الله سبحانه فيه وفي ولديه وأولادهما.

ثُمَّ إنَّه عليه السلام بأمر من ربه ذهب إلى أرض مكة وهي وادٍ غير ذي زرع فأسكن فيه ولده إسماعيل وهو صبي ورجع إلى الأرض المقدسة فنشأ إسماعيل هناك واجتمع عليه قوم من العرب القاطنين هناك وبنيت بذلك بلدة مكة.

وكان عليه السلام ربما يزور إسماعيل في أرض مكة قبل بناء مكة والبيت وبعد ذلك (البقرة: ١٢٦، إبراهيم: ٣٥ - ٤١) ثُمَّ بنى بها الكعبة البيت الحرام بمشاركة من إسماعيل وهي أوَّل بيت وضع للناس من جانب الله مباركًا وهدًى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا (البقرة: ١٢٧ - ١٢٩، آل عمران: ٩٦ - ٩٧) وأذَّن في الناس بالحج وشرع نسك الحجِّ (الحج ٢٦: ٣٠).

ثُمَّ أمره الله بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام فخرج معه للنسك فلما بلغ معه السعي قال يا بني إنِّي أرى في المنام أنِّي أذبحك قال يا أبت افعل ما تُؤْمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتلَّهُ للجبين نودي أن يا إبراهيم قد صدَّقتَ الرؤيا وفداه الله سبحانه بذِبْحٍ عظيم (الصافات: ١٠١ - ١٠٧).

وآخر ما قص القرآن الكريم من قصصه عليه السلام أدعيته في بعض أيام حضوره بمكة المنقولة في سورة إبراهيم (آية ٣٥ - ٤١) وآخر ما ذكر فيها قوله عليه السلام: «**ربَّنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**».

منزلة إبراهيم عند الله سبحانه وموقفه العبودي:

أثنى الله تعالى على إبراهيم عليه السلام في كلامه أجمل ثناء وحمد محنته في جنبه أبلغ الحمد، وكرر ذكره باسمه في نيف وستين موضعًا من كتابه وذكر من مواهبه ونعمه عليه شيئا كثيرًا. وهاكَ جملًا من ذلك: أتاه الله رشده من قبل (الأنبياء: ٥١) واصطفاه في الدنيا وإنَّهُ في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربُّه أسلم قال أسلمت لرب العالمين (البقرة: ١٣٠ - ١٣١) وهو الذي وجه وجهه إلى ربه ﴿**حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (الأنعام: ٧٩) وهو الذي اطمأنَّ قلبه بالله وأيقن به بما أراه الله من ملكوت السماوات والأرض (البقرة: ٢٦٠، الأنعام: ٧٥).

واتخذه الله خليلًا (النساء: ١٢٥) وجعل رحمته وبركاته عليه وعلى أهل بيته ووصفه بالتوفية (النجم: ٣٧) ومدحه بأنَّهُ حليم أواه منيب (هود: ٧٣ - ٧٥) ومدحه أنَّهُ كان أُمة قانتًا لله حنيفًا ولم يكُ من المشركين شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتاه في الدنيا حسنة وإنَّهُ في الآخرة لمن الصالحين النحل: ١٢٠ - ١٢٢).

(وكَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) (مريم: ٤١) وعدَّه الله من عباده المؤمنين ومن المحسنين وسَلَّم عليه (الصافات: ٨٣ - ١١١) وهو من الذين وصفهم بأنَّهم أولوا الأيدي والأبصار وأنَّه أخلصهم بخالصة ذكرى الدار (سورة ص: ٤٥ - ٤٦).

(وقد جعله الله للناس إماما) (البقرة: ١٢٤) وجعله أحد الخمسة أولي العزم الذين آتاهم الكتاب والشريعة (الأحزاب: ٧، الشورى: ١٣، الأعلى: ١٨ - ١٩) وآتاه الله العلم والحكمة والكتاب والملك والهداية وجعلها كلمة باقية في عقبه (النساء: ٥٤، الأنعام: ٧٤ - ٩٠)

الزخرف: ٢٨) وجعل في ذريَّته النبوة والكتاب (الحديد: ٢٦) وجعل له لسان صدق في الآخرين (الشعراء: ٨٤، مريم: ٥٠) فهذه جمل ما منحه الله سبحانه من المناصب الإلهية ومقامات العبودية ولم يفصِّل القرآن الكريم في نعوت أحد من الأنبياء والرسل المكرمين وكراماتهم ما فصَّل من نعوته وكراماته عليهم السلام.

ولـيراجع في التفسير كل من مقاماته المذكورة إلى ما شرحناه في الموضع المختص به فيما تقدم أو سنشرحه إن شاء الله تعالى فالاشتغال به ههنا يخرجنا عن الغرض المعقود له هذه الأبحاث.

وقد حفظ الله سبحانه حياته الكريمة وشخصيته الدينية بما سمَّى هذا الدين القويم بالإسلام كما سمَّاه عليه السلام ونسبه إليه قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[1]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وجعل الكعبة البيت الحرام الذي بناها قبلة للعالمين وشرع مناسك الحجِّ وهي في الحقيقة أعمال ممثلة لقصة إسكانه ابنه وأم ولده وتضحية ابنه إسماعيل وما سعى به إلى ربِّه والتوجه له وتحمل الأذى والمحنة في ذاته كما تقدمت الإشارة إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ...﴾ الآية في الجزء الأوَّل من الكتاب.

[الميزان في تفسير القرآن]

(١) سورة الحج: آية ٧٨.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٦١.

إعجاز القرآن

من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض

العلَّامة الشيخ محمد جواد البلاغي

قد خاض القرآن الكريم في فنون المعارف والإصلاح مما يتخصص فيه الممتازون بالرقي في أبواب الفلسفة والسياسة والخطابة والإصلاح من علم اللاهوت أو الأخلاق أو التشريع المدني والتنظيم الإداري أو الفن الحربي. أو البشرى والترغيب بالجزاء أو الإنذار والتهديد بالنكال.

أو الحجج والأمثال، أو تذكرة المواعظ والعبر، وجرى من ذلك في الميادين الشريفة بأحسن أسلوب وأقوم منهج وبلغ في جميع ذلك أكرم الغايات وأعلاها في الرقي وهو يكرر بحسب الحكمة كثيراً من قصصه ومقاصده وفي جميع ذلك لم تشنه زلة اختلاف ولا عثرة تناقض ولا وهن اضطراب ولا سقوط حجَّة ولا فساد مضمون ولا سخافة بيان. وها هو بارز في جميع العالم لكلِّ من يريد الهدى والفحص والتدبر ينادي بأبهة الافتخار وجمال السداد وشوكة الاستظهار: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1]، ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

(١) سورة الإسراء: آية ٩.

كَثِيرًا﴾[1] منتشراً في أبوابه ومقاصده. فهل يمكن في العادة أن يكون كلُّ هذا من بشر... ولك العبرة بكتب العهدين وهي التي منذ قرون عديدة يصفق لاستحسانها أكثر العالم المفتخر بالعلم والتمدُّن وينسبونها بكمال الاحتفال إلى كرامة الوحي- فكم وكم يوجد فيها من الوهن والسقوط والاختلاف والتناقض وقد ذكر شيء من ذلك في كتب إظهار الحق والهدى.

والرحلة المدرسية. واعتبر أيضاً أنَّ كلَّ واحد من الأناجيل لا يزيد على صحيفة أسبوعية وقد كثر فيها الخبط والتناقض والاختلاف إلى حدٍّ مهول ومدهش، وقد ذكر شيء منه في الجزء الأوَّل من كتاب الهدى (صفحة ١٩٦- ٢٣٤) وأيضاً أنَّ الأناجيل وكتب العهد الجديد مؤسّسة على أنَّ كتب العهدين الرائجة هي كتب وحي إلهي صحيحة.

إذن فاعتبر أنَّه كم وقع الاختلاف والتناقض بين الأناجيل والعهد الجديد وبين العهد القديم وقد ذكر شيء مما ذكرنا في الجزء الأوَّل من الرحلة المدرسية (صفحة ١٣٢- ١٨٤).

[آلاء الرحمن في تفسير القرآن]

(١) سورة النساء: آية ٨٢.

أعجب آية باهرة

الشيخ محمد هادي معرفة

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَيا سَماءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْماءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

قد مرَّت عليك قصَّة النفر من فصحاء قريش أزمعوا ليعارضوا القرآن، فعكفوا على لطيف الغذاء من لباب البُرِّ وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة، حتى بلغوا مجهودهم، فإذا فوجئوا بنزول هذه الآية، فطووا ما أزمعوا ويئسوا ممَّا طمعوا فيه، وعلموا أنَّهُ لا يشبه كلام مخلوق[2].

الأمر الذي دعا علماء الأدب والبيان أن يجعلوا هذه الآية بالذات موضع دراستهم والبحث عن مزاياها الخارقة، فخاضوا عبابها واستخرجوا لبابها في عرض عريض.

وممَّن أجاد في هذا الباب هو الإمام أبو يعقوب السكاكي في كتابه (مفتاح العلوم) فبعد أن تكلَّم عن شأن البلاغة وعجيب أمره، وأنَّهُ ممّا يدرك ولا يوصف - كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، والملاحة يبهر حسن منظرها ولا يستطاع نعتها... وأضاف أنَّ مدرك (الإعجاز) هو الذوق ليس إلَّا، وطول خدمة علمي المعاني والبيان... ذكر شاهدًا على ذلك متمثلا بالآية الكريمة، ومعرِّجًا على تعداد مزاياها ومفارقاتها عن سائر الكلام، قال: وإذ قد وقفت على البلاغة وعثرت على الفصاحة المعنوية واللفظية، فأنا أذكر - على سبيل الأنموذج - آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين، ما عسى يسترها عنك. ثُمَّ إنْ ساعدك الذوق أدركت منها ما قد أدرك من تحدَّوا بها، وهي قوله - علت كلمته -: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

قال: والنظر في هذه الآية من أربع

(١) سورة هود: آية ٤٤.

(٢) العمدة لابن رشيق: ج١ ص٢١١، وراجع الجزء الرابع من التمهيد: ص ٢٠٢.

جهات: من جهة علم البيان، ومن جهة علم المعاني - وهما مرجعا البلاغة - ومن جهة الفصاحة المعنوية، ومن جهة الفصاحة اللفظية:

١ - أمَّا النظر فيها من جهة (علم البيان) وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول: إنَّه - عزَّ سلطانه - لَمَّا أراد أن يبيِّن معنى «أردنا أن نردَّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتدَّ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض، وأن نقضي أمر نوح - وهو انجاز ما كنَّا وعدنا من إغراق قومه - فقضي، وأن نسوّي السفينة على الجوديِّ فاستوت، وابقينا الظلمة غرقى» بنى الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه - لكمال هيبته - العصيان، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ في تكوِّن المقصود، تصويرا لاقتداره العظيم، وأنَّ السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته، إيجادًا وإعدامًا، ولمشيئته فيها تغييرًا وتبديلًا، كأنَّهما عقلاء مميَّزون قد عرفوه حقَّ معرفته، وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره والإذعان لحكمه، وتحتَّم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده، وتصوَّروا مزيد اقتداره، فعظمت مهابته في نفوسهم، وضربت سرادقها في أفنية ضمائرهم. فكما يلوح لهم إشارته كان المشار إليه مقدَّما، وكما يرد عليهم أمره كان المأمور به متمِّمًا، لا تلقى لإشارته بغير الإمضاء والانقياد، ولا لأمره بغير الإذعان والامتثال.

ثُمَّ بنى على تشبيه هذا نظم الكلام، فقال - جلَّ وعلا: «قيل» على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد، وهو «يا أرض» و «يا سماء»، ثُمَّ قال - كما ترى - «يا أرض.. ويا سماء» مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور.

ثُمَّ استعار لغور الماء في الأرض «البلع» الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم، للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقرٍّ خفي.

ثُمَّ استعار «الماء» للغذاء استعارة بالكناية، تشبيهًا له بالغذاء، لتقوِّي الأرض بالماء في الإنبات للزروع والأشجار، تقوِّي الآكل للطعام. وجعل قرينة الاستعارة لفظة «ابلعي» لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء.

ثُمَّ أمر - على سبيل الاستعارة للشبه المقدَّم ذكره - وخاطب في الأمر ترشيحًا لاستعارة النداء. ثُمَّ قال: «ماءك» بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز، تشبيهًا لاتِّصال الماء بالأرض باتِّصال الملك بالمالك. واختار ضمير الخطاب لأجل الترشيح.

ثُمَّ اختار لاحتباس المطر «الإقلاع» الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان. ثُمَّ أمر على سبيل الاستعارة وخاطب في الأمر قائلًا: «أقلعي» لمثل ما تقدَّم في «ابلعي».

ثُمَّ قال: «وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديِّ وقيل بعدًا...» فلم يصرِّح بمن غاض الماء، ولا بمن قضى الأمر، وسوَّى السفينة، وقال بعدا، كما لم يصرِّح بقائل «يا أرض» و«يا سماء» في صدر الآية، سلوكًا في كلِّ واحد من ذلك لسبيل الكناية.

إنّ تلك الأمور العظام لا تتأتى إلَّا من ذي قدرة لا يكتنه، قهَّار لا يغالب. فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره - جلّت عظمته - قائل «يا أرض ويا سماء» ولا غائض مثل ما غاض، ولا قاضي مثل ذلك الأمر الهائل. أو أن تكون تسوية السفينة وإقرارها بتسوية غيره وإقراره.

ثُمَّ ختم الكلام بالتعريض، تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل، ظلمًا لأنفسهم لا غير، خَتْمَ إظهار؛ لمكان السخط، ولجهة استحقاقهم إيَّاه، وأنَّ قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلَّا لظلمهم.

[التمهيد في علوم القرآن]

سورة الفاتحة

السيد محمد باقر السيستاني

إنَّ ألفاظ هذه السورة ومعانيها سهلة وواضحة، فهي لا تتضمن مفردات غريبة أو معاني تركيبية معقدة ولو على وجه التعقيد العارض كما قد يتفق في بعض السور والآيات القرآنية، ولكننا نريد أن نتأملها مزيد تأمل ونستنطقها عن المعاني العامة المنظورة بها.

موضع السورة نزولاً:

وهي على المشهور السورة الخامسة في النزول بعد العلق والقلم والمزمل والمدثر، وقيل إنَّها الثانية وقيل إنَّها الأولى، وهي على كلِّ حال من السور القصار الأوائل، ولذا ينبغي النظر في مقام تفسيرها إلى موقعها.

لكننا مع ذلك تحدثنا عن البسملة فيها حتى كأنَّها أوَّل السور المشتملة عليها وإن كان الذي رجَّحناه كون البسملة جزء من سورة العلق وسائر السور التي قد تكون قد نزلت قبلها [أو بعدها]، على أن سورة العلق على كلِّ حال هي أوَّل سورة تتضمن أدب التسمية إذ جاء فيها بعد البسملة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1] إلا أنَّ حديث المفسرين عنها هنا أدى إلى حديثنا أيضاً عنها في هذا الموضع.

البيان الإجمالي لسورة الحمد

ونتطرق أوَّلاً لتوضيح إجمالي لمفاد هذه السورة، ثُمَّ نعود إلى الحديث عن كلِّ فقرة فيها لتأمل مداليلها أو بعض ما شابها في كلمات بعض الباحثين تفصيلاً.

تتميَّز هذه السورة بين السور القصار بأنها تركز على إثبات كلِّ الأمور الراجعة إلى الله سبحانه حصراً ونفيها عمَّا يعبد مع الله سبحانه أو من دونه، فالله سبحانه هو المستوجب للحمد في ما يشهده الإنسان في الكون من الإبداع وينتفع به من نعَمٍ، وهو ربُّ الإنسان -المعني به- كسائر العالمين، وهو الذي يرحم الإنسان في

(١) سورة العلق: آية ١.

مواضع الحاجة، وهو صاحب يوم القيامة الحاكم فيه، ولذلك فإنَّ الإنسان الراشد الواعي يعبد الله سبحانه وحده ويستعين به ويستهديه في مسيرته في هذه الحياة التي تنتهي إلى الله سبحانه، فهذه السورة هي رسالة إلهية قصيرة ومعبِّرة إلى الخلق.

الآية الأولى:

وقد بدأت بالأدب الذي أُسس له منذ السورة الأولى وهي سورة العلق، حيث بُدئ فيها -أي سورة العلق- بالبسملة لتكون جملة منسقة مشتركة بين بدايات السور، وأُوضحَت هذه البسملة بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]، فكانت البسملة بياناً للأدب اللائق لبداية الرسالة الإلهية كما كانت أدباً متعارفاً قبل الإسلام في الرسائل، وقد جاء أنهم كانوا يكتبون: (بسمك اللهم)[2]، وجاء قبل ذلك بمئات السنين عن سليمان (على نبينا وآله وعليه السلام)- الذي ذُكر أنَّهُ تُوفي سنة (٩١٤) قبل الميلاد- أنَّهُ كتب في رسالته إلى ملكة سبأ: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[3]، فكانت بداية الرسالة تسمية لله سبحانه.

فهذا -فيما يبدو- أدب كان سائداً، وربَّما كان هذا الأدب ممَّا أرساه الله سبحانه من خلال رسله عليهم السلام، ثُمَّ وقعت تسريته إلى سائر الآلهة وغيرها.

وقد اختير في هذا الأدب توصيف الله سبحانه بالرحمن كلقبٍ له، وهو لقب كان معهوداً في القسم [الجنوبي الغربي] من الجزيرة العربية -أي: اليمن-، وربَّما كان من آثار الرسل السابقة في تلك البقعة أو غيرها، وكأنَّ هذا الاختيار كان لأمرين:

١- رفع توهم تعدُّد الآلهة في الجزيرة العربية وإزالة العصبية بين أهل الجزيرة وبين أهل اليمن في الإله المعبود، حيث كان التعبير السائد عند أهل الجزيرة عن الله سبحانه هو لفظ الجلالة (الله)، والتعبير السائد عند اليمنيين هو (الرحمن)، وربَّما يكون

(١) سورة العلق: آية ١.

(٢) وقيل إنَّهم كانوا يكتبون: (بسم اللات والعزى)، لاحظ: المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٦/ ١١٣.

(٣) سورة النمل: آية ٣٠.

مثل هذا التعدُّد مبعثاً للمِراء والمجادلة بأنَّ الإله الأعظم لأهل الجزيرة غير الإلـه الأعظم لأهـل اليمن ومـا إلى ذلك، فاستُخدم لفظ (الرحمن) لدفع توهم تعدُّد الآلهة.

٢- التعبير عن الصفة المميزة التي يحب الله سبحانه أن يُعرف بها كلقب له، فإنَّ الألقاب تعبِّر عن الصفات المميزة لـلأسـماء، مثل لقب الأمين للنبيِّ صلى الله عليه وآله في الجاهلية، ولقب الرسول له صلى الله عليه وآله في الإسلام، ولقب أمير المؤمنين للإمام عليٍّ عليه السلام، ولقب زين العابدين لحفيده عليِّ بن الحسين عليه السلام وهكذا، فالرحمن المعبِّر عن سعة الرحمة بصيغة المبالغة فيها هو الوجه الذي أراد الله سبحانه أن يكون لقبه الخـاص بين عباده كما قـال سبحانه: ﴿رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُـؤْتُـونَ الـزَّكَـاةَ وَالَّـذِيـنَ هُم بِآيَاتِنَا يُـؤْمِـنُـونَ﴾[1]، فجعلت صفة الذات الإلهية العامة هي الرحمة تعبيراً عمَّـا يليق بها و ليكون ذلك باعثَ اهتداء إليه، إذ كانت حاجة الفرد إلى الإله إنَّما هي رغبةً في رحمته وعنايته .

وقد أكَّد ذلك بصفة (الرحيم)؛ لأنَّ البُعد الوصفي في اللقب يضعف بصيرورته لقباً، بل قد تبقى دلالته على معناه الوصفي كتلميح فقط من غير تركيز عليه، وربَّما يُغفل عنه، فعقَّب سبحانه كلمة (الرحمن) عنايةً بتمثيل صفة الرحمة عن نفسه بلفظ (الرحيم) ليؤكِّد على صفة الرحمة قبل كلِّ شَيء في بداية الكلام ليكون مخرج الكلام منذ بدايته مخرج الاسترحام والاستعانة بالله سبحانه وليبطل الالتجاء لطلب الرحمة من الأصنام في مستوى الشرك كما كانت عليه البيئة التي نزلت الآية فيها.

فهذا المعنى الذي تمثله البسملة على الإجمـال، وذلك أمر مشترك بين سـورة الحمد وسائر السور بعد ما تقدَّم من أنَّ البسملة جزء من السور جميعاً، وأنّ سورة الحمد ليست هي أوَّل الـسـور نـــزولاً، وإنَّـــما سلمت سـورة الحمد عن توهم أنّ البسملة ليست جـــزءاً مـن الـسـورة إلى حدٍّ كبير بالمقارنة مع باقي السور باعتبار

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٦.

الإشارة إلى عدد آياتها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾[1]، ووقوع التركيز عليها في بداية الصلاة والمواظبة المروية على البسملة فيها من النبيِّ صلى الله عليه وآله، وإلَّا فالبسملة جزء مشترك بين السور على ما رجَّحْناه ولا تمتاز بها هذه السورة عن غيرها.

وأمَّا امتياز هذه السورة عن باقي السور القصار فهي بما بعد البسملة من مضامين السورة.

الآية الثانية:

لقد كانت هذه السورة مميزة بين السور بالثناء الجميل على الله تعالى وشد الإنسان إليه تعالى رغم قصرها، فبدأت بحمد الله سبحانه معبِّرةً بذلك أنَّ كلَّ حمدٍ يُستوجَب بموجب الألوهية في هذا الكون والوجود فهو كلُّه لله سبحانه مشيرةً بهذا إلى أنَّه تعالى الإله الوحيد للخلق والمخلوقات كلِّها والمدبر لأمورها، فكلُّ حمد وثناء يحفِّز عليه هذا الوجود بما فيه من أنواع الخلق والمخلوقات وبدائع صنعها وسنِّ سننها والملاءمة بينها سواء في البعد الكوني العام في السماء والأرض أو في البعد المتعلّق بالإنسان نفسه من حيث خلق الإنسان في أحسن تقويم وجعله في ضمن مجتمع يتناسل ويكون له أولاد وأقرباء وحفدة وأصحاب ويكون الناس شعوباً وأقواماً يتضامنون في المصالح، أو كان في سائر أنواع الكائنات من الحيوانات والنباتات وتسخيرها للإنسان، فللَّه سبحانه الحمد في صناعة كلِّ ذلك وتدبيره كما تواتر ذكر هذا المعنى في السور القرآنية المتوسطة والمفصَّلة.

وهذا الكون بما فيه من دقائق وإبداع ينطق كلُّه بالحمد والثناء لله سبحانه، ولكننا قد نحتاج إلى نفض غبار الاعتياد عنه، و لولا الاعتياد على هذا الكون لشعرنا بمدى مستوى الإتقان والإبداع والقدرة والدقة في تفاصيل هذا الكون وفي أنواع الكائنات والملاءمة بينها وسننها وخصوصياتها حقًا كما يعرض القرآن الكريم في كثير من آياته، فهذا الكون معرض الصنائع الإلهية والقدرة الإلهية والفن والإبداع الإلهي، وكلُّ

(١) سورة الحجرات: آية ٨٧.

هذه المقدرة والفن والإبداع من يُثنَى عليه بها هو الله سبحانه حقًّا، فإذا أثنينا على شَيء بأنْ قلنا -مثلاً- كم هذه الزهرة جميلة، كم هذا الشيء عجيب، كم هذا الشيء مذهل، كم هذه السماوات واسعة، فذلك ثناء على الله سبحانه، وما في الكون إذا نطقنا بحمد وثناء وإعجاب وإكبار لشيء من الإنسان، و قدراته، و قابليته على الاكتشاف والاختراع والاهتداء والتحليل والتفكير، وكلُّ ما أثنينا به في شَيء ومدحنا شيئاً وأُعجبنا بشيء وراقنا شَيء، فهذا الحمد في الحقيقة يعود إلى الله سبحانه، فالإنسان يبدي الإعجاب بالمعرض الكوني والمعروضات فيه ولكنه لغفلته لا يعرف صاحب هذا المعرض ولا ينتقل إلى صاحب هذا المعرض، فالحمد حقًّا كلُّه لله سبحانه.

ثُمَّ نَبَّه الله سبحانه على ربوبيته للعالمين كلِّهم بقوله بعد الحمد لله: (ربِّ العالمين)، وذلك أنّ لله سبحانه دَوْرينِ:

دورَ الخلق: الذي كانت تعترف به الأقوام عموماً، وكان محلَّ إذعان العرب في الجزيرة رغم شركهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1].

ودور الربوبية: وهو دور التعهد بتدبير الخلق وقضاء حوائجهم وأمورهم، وهو المعبَّر عنه بدور الربوبية، فرَبُّ الشيء هو الذي يكون صاحبه المعني به، مثلاً: ربُّ الغنم يطلق على مالك الغنم باعتبار عنايته، وقد يطلق على الراعي الذي يدبرها ويذهب بها للرعي.

فالربوبية تعني أنَّ الربَّ صاحب هذا الشيء والمعني به.

هذا، وكأنَّ الناس بطبيعتهم يميلون إلى اتخاذ إله أدنى مشهودٍ لهم، قريب إلى أحاسيسهم، يتكفل حوائجهم ويُعنى بهم، ولذا كانت الأديان التوحيدية دائماً تُحرَّف إلى أديان شركية، وربَّما تتمحَّض في الشرك أصلاً أو يُترك فيها الله سبحانه تدريجاً؛ لأنَّ هذا الكائن الأدنى يتبدل إلى الأيقونة التي يتمثل فيها الإله، ولا

(١) سورة لقمان: آية ٢٥.

يعتقدون بشيء وراءه، فهذا من الميول البشرية الملحوظة، والتي أفسدت كثيراً من الأديان كدين المسيح عليه السلام.

وربَّما كانوا يعتقدون أنَّ هذا إله أدنى وفي السماء إله أعلى، وكأنَّ الإله الأعظم- وهو الله سبحانه- غير معني بالأرض وبالإنسان، إذ ليس قريباً منهم، فهو -مثلًا- معني بالملائكة الذين هم في السماء، فيحتاج الإنسان إلى ربٍّ يتعهده ويتكفل حوائجه، ومثل هذه الأوهام هي سبب بحث الناس عن آلهة أخرى.

فالمراد بقوله ﴿رَبِّ الْعَالمين﴾ التأكيد للناس في سياقٍ مرتبطٍ بالرحمة الإلهية العامة أنَّهُ سبحانه معني بالإنسان وهو ربُّه وصاحبه كما قال عزَّ مَن قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1]، فلماذا يذهبون يميناً وشمالاً؟ ولماذا يبحثون عن أرباب مصطنعة؟ ولماذا يتيهون؟ فهو سبحانه ربُّ العالمين كلِّهم، وليس خصوص الملائكة التي كان بعض العرب يفترض أنَّ الله سبحانه معني بها وهي بنات الرحمن باعتبارها في السماء مثلاً حسب طرق تفكيرهم، ولذلك قال عزَ مَن قائل في ردِّ هذا الوهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[2]، إذن هؤلاءِ يعتبرون الله تعالى إلهاً معنياً بالسماء وأنَّهُ لا يعتني بالبشر، ولذلك قال الله سبحانه: إنَّهُ ربُّ العالمين جميعاً.

(١) سورة البقرة: آية ١٨٦.

(٢) سورة الزخرف: آية ٨٦.

الصِّدِّيقون والشُّهداء

السيد عبد الأعلى السبزواري

قوله تعالى: ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾[1].

وهم الطائفة الثانية. وَالصِّدِّيقِينَ جمع الصِّدِّيق، مبالغة في الصِدق، أي: الَّذين طابق قولهم فعلهم، وظاهرهم باطنهم، فلا يصدر منهم إلَّا الحقُّ اعتقادًا وقولًا وفعلًا؛ لصفاء سريرتهم وعدم صدور الكذب عنهم وممارستهم الصدق، فالهموا الصواب، فميَّزوا الحقَّ عن الباطل والخير عن الشرِّ، فهم شهدوا الحقائق، فكانوا صادقين بالحقِّ، فصاروا صدِّيقين شهداء الحقائق والأعمال.

وقد فسَّر بعض العلماء الصِدِّيق بمن كثر صدقه، أو من لا يتأتّى منه الكذب لتعوُّده على الصِدق، ولكن ما ذكرناه أولى، فإنَّه قد يكون الفرد كذلك، لكن لا يصل إلى درجة الصدِّيق الَّذي له مرتبة الشهادة على الأعمال والحقائق. والَّذي تكون منزلته دون منزلة الأنبياء ورتبته دون مرتبتهم، كما هو ظاهر الآية الشريفة.

قوله تعالى: ﴿وَالشُّهَداءِ﴾[2]: وهم الطائفة الثالثة، أي الَّذين تولَّاهم الله تعالى بالشهادة، وجعلهم من المقرَّبين، فشهدوا الحقَّ وأريقت دماؤهم في سبيله، لنيل رضائه وحبِّه جلَّت عظمته.

وذكر بعض المفسِّرين أنَّ المراد بالشهداء هم شهداء الأعمال، ولكن ذكرنا في أحد مباحثنا السابقة أنَّ الشهيد في سبيل الحقِّ وإعلاء كلمة الله تعالى، يكون شهيدًا على الأعمال أيضا، فبينهما تلازم في الجملة.

[مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ج٩، ص٨]

(١) سورة النساء: آية ٦٩.

(٢) سورة النساء: آية ٦٩.

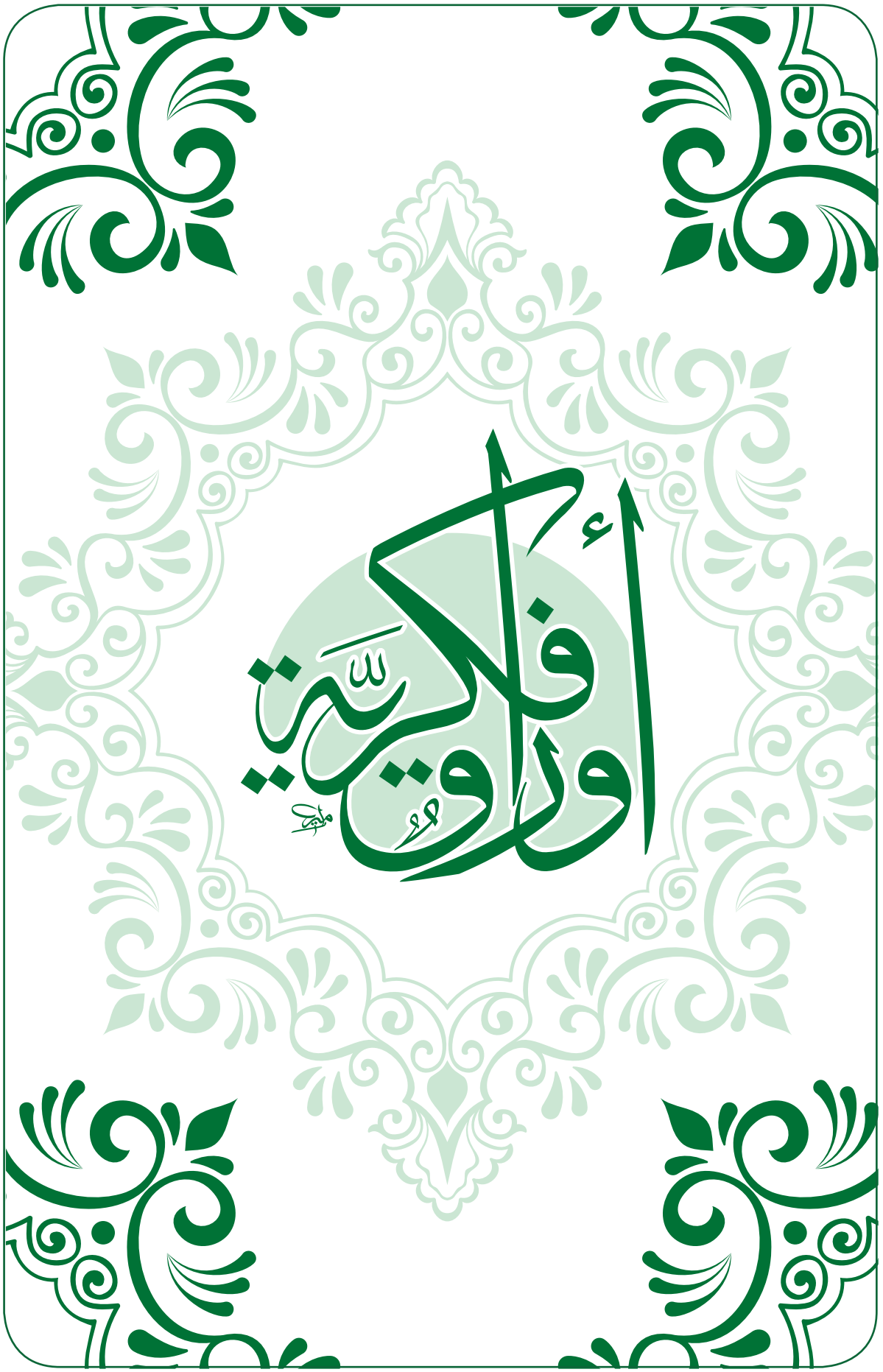
أوراق قرآنية

الإيمان والأحكام

شيخ الطائفة الطوسي

الإيمان هو التصديق بالقلب، ولا اعتبار بما يجري على اللسان، وكلُّ مَن كان عارفًا بالله وبنبيه وبكلِّ ما أوجب الله عليه معرفته مقرًّا بذلك مصدِّقًا به فهو مؤمن. والكفر نقيض ذلك، وهو الجحود بالقلب دون اللسان ممَّا أوجب الله تعالى عليه المعرفة به، ويُعلم بدليل شرعي أنَّه يستحق العقاب الدائم الكثير. وفي المرجئة مَن قال: الإيمان هو التصديق باللسان خاصة وكذلك الكفر هو الجحود باللسان، والفسق هو كل ما خرج به عن طاعة الله تعالى إلى معصيته، سواء كان صغيرًا أم كبيرًا. وفيهم مَن ذهب إلى أنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معًا، والكفر هو الجحود بهما. وفي أصحابنا مَن قال: الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان والعمل بالجوارح، وعليه دلَّت كثير من الأخبار المروية عن الأئمة عليهم السلام. وقالت المعتزلة: الإيمان اسم للطاعات، ومنهم من جعل النوافل والفرائض مَن الإيمان، ومنهم مَن قال النوافل خارجة عن الإيمان، والإسلام والدين عندهم شيء واحد، والفسق عندهم عبارة عن كل معصية يستحق بها العقاب، والصغائر التي تقع عندهم مكفرة لا تسمَّى فسقًا. والكفر عندهم هو ما يستحق به عقاب عظيم، وأجريت على فاعله أحكام مخصوصة، فمرتكب الكبيرة عندهم ليس بمؤمن ولا كافر بل هو فاسق. وقالت الخوارج تقريب من قول المعتزلة إلَّا أنَّهم لا يسمَّون الكبائر كلَّها كفرًا[1]، وفيهم من يسميها شركًا.

والفضيلية منهم يسمِّي كلَّ معصية كفرًا صغيرة كانت أم كبيرة. والزيدية مَن كان منهم على مذهب الناصر يسمَّون الكبائر كفر نعمة، والباقون يذهبون مذهب المعتزلة. والذي يدلُّ على ما قلناه، أوَّلًا: هو أنَّ الإيمان في اللغة هو التصديق،

(١) «اللهم إلَّا أنَّهم يسمَّون الكبائر كلَّها كفرًا».

ولا يسمَّون أفعال الجوارح إيمانًا، ولا خلاف بينهم فيه. ويدلُّ عليه أيضا قولهم: «فلان يؤمن بكذا وكذا وفلان لا يؤمن بكذا» وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[1] قال: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾[2]، أي: بمصدِّق، وإذا كان فائدة هذه اللفظة في اللغة ما قلناه وجب إطلاق ذلك عليها إلَّا أن يمنع مانع، ومن ادَّعى الانتقال فعليه الدلالة، وقد قال الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[3] وقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[5] وكلُّ ذلك يقتضي حمل هذه اللفظة على مقتضى اللغة. وليس إذا كان ههنا ألفاظ منتقلة وجب أن يحكم في جميع الألفاظ بذلك وإنَّما ينتقل عمَّا ينتقل بدليل يوجب ذلك. وإن كان في المرجئة مَن قال ليس ههنا لفظ منتقل ولا يحتاج إلى ذلك. ولا يلزمنا أن نسمِّي كلَّ مصدِّق مؤمنًا، لأنَّا إنَّما نطلق ذلك على مَن صدَّق بجميع ما أوجبه الله عليه. والإجماع مانع من تسمية من صدَّق بالجبت والطاغوت مؤمنًا، فمنعنا ذلك بدليل وخصصنا موجب اللغة، وجرى ذلك مجرى تخصيص العرف لفظ (الدابة) ببهيمة مخصوصة وإن كان موجب اللغة يقتضي تسمية كلِّ ما دبَّ دابة، ويكون ذلك تخصيصًا لا نقلًا. فعلى موجب هذا يلزم من ادَّعى انتقال هذه اللفظة إلى أفعال الجوارح أن يدل عليه.

وليس لأحد أن يقول: إنَّ العرف لا يُعرف التصديق فيه إلَّا بالقول، فكيف حملتموه على ما يختص القلب؟ قلنا: العرف يُعرف بالتصديق باللسان والقلب؛ لأنَّهم يصفون الأخرس بأنَّه مؤمن، وكذلك الساكت، ويقولون «فلان يصدق بكذا وكذا وفلان لا يصدق» ويريدون ما يرجع إلى القلب، فلم يخرج بما قلناه عن موجب اللغة. وإنَّما منعنا إطلاقه في المصدِّق باللسان أنَّه لو جاز ذلك لوجب تسميته بالإيمان وإن عُلِم جحوده بالقلب،

(١) سورة النساء: الآية ٥١.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٧.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٥.
(٤) سورة إبراهيم: الآية ٤.
(٥) سورة يوسف: الآية ٢.

والإجماع مانع من ذلك.

فأمَّا السجود للشمس فعندنا وإن لم يكن كفرًا فهو دلالة على الكفر وإن فاعله ليس بمصدِّق في القلب، لحصول الإجماع على أنَّ فاعله كافر ولم يجمعوا على أنَّ نفس السجود كفر؛ لأنَّ فيه الخلاف. وكلما يُسأل من نظائر ذلك فالجواب عنه ما قلناه. واستدلت المرجئة على أنَّ الطاعات ليست إيمانًا، أنَّه لو كانت طاعة إيمانًا لكانت كلُّ معصية كفرًا أو بعض كفر، ولو جاز أن يكون في الإيمان ما ليس تركه كفرًا جاز أن يكون في الإيمان الكفر ما ليس تركه إيمانًا. وأيضاً لو كانت كلُّ طاعة إيماناً لم يكن أحد كامل الإيمان لا الأنبياء ولا غيرهم؛ لأنهم يتركون كثيراً من النوافل بلا خلاف، وعندهم يتركون من الواجب أيضاً ما يكون صغيراً. وأيضاً قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[1]، وقال: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾[2]، [وذلك يدل على أنَّهُ يكون مؤمناً وأن يعمل الصالحات] من أفعال الجوارح.

والمعتمد ما قدمناه، وما يتعلَّق به المخالف قد بيَّناه في شرح الجمل لا نطول بذكره ههنا. وأمَّا الكفر فقد قلنا أنَّهُ عند المرجئة من أفعال القلوب، وهو جحد ما أوجب الله تعالى معرفته ممَّا عليه دليل قاطع كالتوحيد والعدل والنبوة وغير ذلك، وأمَّا في اللغة فهو الستر أو الجحود، وفي الشرع عبارة عمَّا يستحق به العقاب الدائم الكثير، ويلحق بفاعله أحكام شرعية كمنع التوارث والتناكح والعلم بكون المعصية كفرًا طريقه السمع لا مجال للعقل فيه؛ لأنَّ مقادير العقاب لا تُعلم عقلًا، وقد أجمعت الأمة على أن الإخلال بمعرفة الله تعالى و توحيده وعدله وجحد نبوة رسله كفر، لا يخالف فيه إلَّا أصحاب المعارف الذين بيّنا فساد قولهم. ولا فرق بين أن يكون شاكًّا في هذه الأشياء أو يكون معتقدًا لما يقدح في حصولها، لأنَّ الإخلال بالواجب يعمُّ الكلَّ. فعلى هذا المجبِّرة والمشبهة كفَّار، وكذلك مَن قال

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٢.
(٢) سورة طه: الآية ٧٥.

بالصفات القديمة؛ لأنَّ اعتقادهم الفاسد في هذه الأشياء ينافي الاعتقاد الصحيح من المعرفة بالله تعالى وعدله وحكمته.

وأمَّا الفسق فهو في اللغة عبارة عن خروج الشيء إلى غيره، ولذلك يقولون «فسقت الرطبة» إذا خرجت عن قشرها، وسُمِّيت الفارة فويسقة من ذلك لخروجها من نقبها، إلَّا أنَّ بالعرف صار متخصصًا بالخروج من حسن إلى قبح. وأمَّا في عرف الشرع فهو عندنا عبارة عن كلِّ معصية سواء كانت صغيرة أم كبيرة؛ ولأنَّ معاصي الله تعالى كلَّها كبائر وإنَّما نسمِّيها صغائر بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، وهي كبيرة بالإضافة إلى ما هو أصغر منها. وشبهة المعتزلة في أنَّ المؤمن لا يسمَّى به المصدق وإن قالوا كان ينبغي أن لا يسمَّى بعد إيمانه بزمان أنَّه مؤمن كما لا يسمَّى بأنَّهُ ضارب لما تقدم من الضرب؛ لأنَّ الأسماء المشتقة إنَّما تطلق في حال وقوع على ما اشتقت منه. باطلة؛ لأنَّا نقول إنَّ الاعتقاد بالقلب الذي هو الإيمان يتجدد حالًا فحالًا، لئلا يبقى فيما خرجنا عن طريقة الاشتقاق. وقولهم: إنَّهُ لو كان كذلك لوجب أن لا يسمَّى مَن هو في مهلة النظر بأنَّهُ مؤمن؛ لأنَّهُ ما صدق بالله ولا بصفاته. فاسد؛ لأنَّ مَن هو في مهلة النظر قد صدق بجميع ما تجب عليه في تلك الحال، فلذلك يسمَّى مؤمنًا.

ومتى قالوا: يلزم من كلِّ مَن صدق ما قلتموه يسمَّى مؤمنًا وإن لم يترك شيئًا من القبائح إلَّا ارتكبه ولا شيئًا من الواجبات إلَّا تركه، وهذا شنيع من المقال. قلنا: ذلك يقوله المرجئة، غير أنَّ الذي نختاره أنَّ يعتقد ذلك لئلا يوهم فيقول هو مؤمن بتصديقه بجميع ما وجب عليه فاسق بتركه ما يجب عليه من أفعال الجوارح فيعتد له الأمران لئلا يوهم ارتفاع أحدهما إذا أطلقنا الآخر. وما يتعلقون به من الظواهر تكلمنا عليه في شرح الجمل لا نطول بذكره ههنا. وقول من قال من الزيدية أنَّهُ كافر نعمة، باطل؛ لأنَّهُ معترف بنعمة الله تعالى معتقد لها، فكيف يكون جاحدًا.

وأمَّا قول الحسن إنه منافق. باطل، لأنَّ المنافق هو من أظهر خلاف ما في باطنه، ومن كان مظهرًا للمعصية التي يستحق بها العقاب لا يكون منافقًا. وقول الخوارج واحتجاجهم على أنَّ مَن يرتكب الكبيرة كافر بقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1] مبني على القول بالعموم والذي بيَّنا فساده. [ولنا أن نخص ذلك بما تقدم من الأدلة الموثقة]. وقوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۞ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[2]، يفيد نارًا مخصوصة، ولذلك خُصَ بها الذي كذَّب وتولَّى وهم المرتدون، فأمَّا مَن كان كافرًا ابتداءً فلا يدخل فيها. وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾[3]، لا يمنع أن يكون هناك قسم ثالث وإن لم يكن منطوقًا به ويكون عليها سمة أخرى.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[4]، لا يمنع من أن يكون وجوه أخر لا سوداء خالصة ولا بيضاء خالصة. على أنَّ هذه الآية مخصوصة بالمرتدين، لقوله: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[5]. وقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[6] لا يمتنع من إحاطتها بالفسَّاق كما لا يمتنع من إحاطتها بالزبانية وخزنة النيران. وقوله: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[7] لو حمل على عمومه لوجب الاثبات المؤمن بحال على ذلك مخصوص بعقاب الاستيصال في دار الدنيا، وذلك مختص بالكفار بدلالة أوَّل الآية وسياقها إلى آخرها. واستقصاء القول في ذلك مذكور حيث أشرنا إليه[8]، وفي مسألة الوعيد للمرتضى رحمه الله.

[الاقتصاد]

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.
(٢) سورة الليل: الآية ١٤ - ١٦.
(٣) سورة عبس: الآية ٣٨-٤٠.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٦.
(٦) سورة التوبة: الآية ٤٩.
(٧) سورة سبأ: الآية ١٧.
(٨) من شرح الجمل للمؤلِّف نفسه.

الاحتياج الى الإمام في كل حال

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي

لو أنَّ قائلاً قال: المعلوم أنَّهم ينصبون رئيساً عند الحوادث لا في كلِّ حال، وأنَّهم مع سلامة أحوالهم قد لا يفعلون ذلك، فإذا وقعوا في محاربة ومنازعة فعلوه، لكان أقرب ممَّا قالوه...».[1]

والجواب: أنَّ الأمر الذي يحتاج فيه إلى إمام ليس ممَّا يحدث في حال دون حال، بل هو عام في الأحوال فكيف يصح ما ذكروه؟

وبعد، فكيف يجوز الاستغناء عن الإمام في حال الأمن وارتفاع الحاجة إلى الحرب والمنازعة وما جرى مجراهما ونحن نعلم أنَّ حال الأمن لا يعدم فيها التظالم والتغالب، وامتداد يد القوي إلى الضعيف إلى سائر ما يستغنى عن ذكره من وجوه الفساد التي لا يمتنع الأمن منها ولا يحيل وقوعها؟ وإذا كان كلُّ هذا متوقعًا ممكنًا ووجود مَن يُهاب مكانه، وتُخشى سطوته، أو يُوقر في نفسه. ويُستحيى من مجاهرته يرفع ذلك أو يقلله فقد بطل ما ظنه من اختصاص الحاجة إليه بحال دون أخرى، على أنَّهُ لا فرق بين مَن قال: إنَّ الإمام قد يجوز أن يُستغنى عنه في الأمن عند الاستغناء من الحرب وبين مَن قال: وقد يجوز أيضًا أن يُستغنى عنه في الحرب وغيرها ممَّا يدعي أنَّهُ يحتاج إليه فيه، وما يصحح الحاجة إليه في الحرب والمنازعات بمثله يصحح الحاجة إليه في جميع الأحوال، وقوله: «لأنَّهم مع سلامة الأحوال قد لا يفعلون ذلك» لا ينكر غير أنَّهم إذا لم يفعلوه أعقبهم من الضرر والانتشار[2] ما هو معروف ولم يكن احتجاجنا بفعلهم حسب، وإنَّما احتجاجنا أنَّهم يفعلون ذلك. ويبادرون إليه لوجوبه في عقولهم. ومتى أغفلوه تبينوا عن مضرته، على أنَّهم إذا لم يفعلوا ذلك علموا من أنفسهم

(١) المغني: ٢٠ ق / ١ / ٢٨.

(٢) الانتشار: التفرق.

أنَّهم مهملون، وتاركون لما يجب في عقولهم، وأنَّهم مستعملون الهوى، ومتبعون له، كما يعلمون - إذا كانوا عقلاء وارتكبوا الظلم وما جرى مجراه في القبائح في العقول - أنَّهم فاعلون لما يقتضي عقولهم خلافه. وأنَّهم في ذلك عاملون على الهوى، ومائلون مع الطباع ولا يخلُّ ذلك بمعرفتهم بقبح ما صنعوه فكذلك حكمهم إذا أهملوا أمر الإمامة وتوانوا عن إقامة الرؤساء مثل ذلك.

فأمَّا قوله: «لو أنَّ قائلا قال: فزعهم إلى نصب رئيس كفزعهم إلى الاستبدال به إذا كرهوا منه أمرًا».

وقوله: «ولو أنَّ قائلًا قال: كلُّ فرقة تفزع إلى رئيس غير الذي تفزع إليه سائر الفرق فيجب إثبات رئيس لكلِّ فرقة لكان أقرب ممَّا ذكروه...» فقد تكرر منَّا الكلام عليه لتكراره له. وجملته: أن يظن أنَّ طريقتنا في إثبات الإمامة، وما نوجبها به هي طريقتنا إلى إثبات صفات الإمام التي يختص بها. وكون عليه نص من قبل الله تعالى، وهذا ظن منه بعيد. وأمَّا قوله: «ولو أنَّ قائلًا قال: المتقرر في العقول أنَّهم ينصبون رئيسًا عند ظنهم الحاجة إليه كما ينصبون وكيلًا عند ذلك. ولذلك لو ظنوا الغنى عنه لم يتكلفوه...» فقد بيَّنا أنَّهم عالمون بالحاجة إلى الإمام والرئيس لا ظانون، وأنَّ حاجتهم إلى ذلك لا تختلف باختلاف الأوقات، فإن الاستغناء عن الرؤساء لا يجوز أن يتخيله عاقل، وذلك كافٍ.

[الشافي في الإمامة]

تفسير الشريعة وفائدتها وحكمة وضعها

الشهيد الثاني

وهي قانون إلهي، ومنهج بلوى، وطريق إمامي، جرت منها الأحكام، ويتميز بها الحلال عن الحرام.

وفائدتها: كمال المكلفين من حيث العلم والعمل.

وحكمة وضعها: هداية الضالين عن الخطأ والزلل، فبعث الله رسولًا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. ففي الحكمة التي أخبرنا سبحانه بقوله عزَّ وعلا ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فدلنا وأرشدنا إلى ما فيه صلاحنا، فله الحمد على ما هدانا.

وحيث وضعت لكلِّ وضيع وشريف، وكلِّ قوي وضعيف، فالعقل قاضٍ بأنَّها طريق سهل وسبيل واضح ومنهج لائح، وبه أشار صادعها صلى الله عليه وآله: «إنِّي بُعِثتُ على الملَّةِ السمحةِ السهلةِ البيضاء».

والملة والشريعة والدين واحد، وأنَّ الدين عند الله الإسلام، والسهولة ضد الصعوبة، والمسامحة عدم المضائقة، وبياضها كناية عن نورها وضيائها، فهي طريق لا يضل عنها أحد، وإن كان في عينيه رمد، فمن استصعبها وجعل التمسك بها كالصعود إلى السماء، فقد خالف السنة، وعطل الشريعة، وفوت حكمها، وضيع فائدتها، ومنشأ هذا الوهم الفاسد والخيال الكاسد، عدم المعاشرة بأهل الحال، وسوء الظن للحسن المقال، وقلَّة الممارسة بالمسائل الشرعية، والتقصير في خدمة علماء الشريعة.

[حقائق الإيمان]

مسألة تقدّم المفضول على الفاضل

السيد علي الميلاني

لا مناص لمن يقول بقبح تقدُّم المفضول على الفاضل كابن تيميَّة -ابن تيميَّة ينصُّ في أكثر من موضع من منهاج السنّة على قبح تقدُّم المفضول على الفاضل- فحينئذٍ لابدَّ وأنْ يلتزم بإمامة عليٍّ.

إلَّا أنَّه يضطر إلى تكذيب الثوابت، ولا مناص له من التكذيب، حتَّى لو كان الحديث موجوداً في الصحيحين وفي غير الصحيحين من الصحاح وفي غير الصحاح من الكتب المعتبرة بأسانيد صحيحة، لأنَّ النصب والعداء لأمير المؤمنين عليه السلام يمنعه من الاعتراف بالحقِّ والالتزام به، إلَّا أنَّا نوضِّح هذه الحقائق ونستدل عليها، عسى أن يرجع بعض الناس عن تقليده واتِّباعه، ولا أقل من إقامة الحجة، ليهلك من هلك عن بيِّنة.

نعم، هناك من يعترف بصحة هذه الأحاديث، إلَّا أنَّه ينفي قبح تقدُّم المفضول على الفاضل.

فيدور الأمر عند القائلين بإمامة أبي بكر وعمر، بين نفي قبح تقدُّم المفضول على الفاضل وقبول الأحاديث والآثار والأخبار هذه لصحَّتها، وبين قبول قبح تقدُّم المفضول على الفاضل وتكذيب هذه الأحاديث والآثار والقضايا الثابتة.

وقد مشى على الطريق الثاني ابن تيميَّة، وعلى الطريق الأوَّل الفضل ابن روزبهان، وكلاهما في مقام الرد على العلَّامة الحلِّي في استدلالاته على إمامة أمير المؤمنين، فابن روزبهان يقول بعدم ضرورة كون الإمام أفضل من غيره وأنَّه لا يقبح تقدُّم المفضول على الفاضل وحكم على خلاف حكم العقلاء من الأوَّلين والآخرين، وابن تيميَّة يوافق على هذا الحكم العقلي، إلَّا أنَّه يكذِّب الأحاديث الصحيحة ويتصرَّف في معنى الشجاعة ومعنى القتل ومعنى الجهاد. والفضل بن روزبهان لا يضطر إلى هذه التصرفات القبيحة الشنيعة الرديئة، إلَّا أنَّه ينكر أن يكون تقدُّم المفضول على الفاضل قبيحاً، وهذا رأي على خلاف حكم العقل وبناء العقلاء.

وإذا ما رجعتم إلى كتاب المواقف، شرح المواقف، شرح المقاصد، وغير هذه الكتب، ترونهم مضطربين، لا يعلمون ما يقولون، لا يفهمون بما يحكمون، فما لهم كيف يحكمون؟ راجعوا شرح المواقف وشرح المقاصد وغيرهما من كتب القوم: فتارة يوافقون على قبح تقدُّم المفضول على الفاضل، وهذه الأحاديث صحيحة.

وتارة يتأمَّلون وكأنَّهم لا يعلمون أنَّ تقديم المفضول على الفاضل قبيح أم لا، ويتركون البحث على حاله؟

وقد نقلت هنا عبارة كتاب المواقف للقاضي الإيجي، الذي ذكر في هذه المسألة الخلاف في تقدم المفضول وعدم تقدُّم المفضول، وأنَّه قبيح أم لا، وهو ساكت لا يختار أحد القولين؛ لأنَّه لا يدري ماذا يقول؟ يبقى متحيّراً، يبقى مضطرباً؛ لأنَّ الأمر يدور بين الأمرين كما ذكرت.

وإذا سألت القاضي الإيجي عن أنَّ أبا بكر أفضل من عليٍّ أم لا، وتريد منه الكلام الصريح والفتوى الواضحة في هذه المسألة، والإفصاح عن رأيه؟

يقول: إنَّ الأفضليَّة لا يمكننا أنْ ندركها ونتوصّل إليها! ثمَّ إنَّ الصحابة قدَّموا أبا بكر وعمر وعثمان على عليٍّ، وجعلوا أولئك أفضل من عليٍّ، وحسن الظنِّ بهم ـ أي بالصحابة

ـ يقتضي أن نقول بقولهم ونوكل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى.

وهكذا يريد الفرار من هذه المسألة، والخروج عن عهدة هذه القضية، وإلقاء المسؤولية على الصحابة.

فأقول للقاضي الإيجي: إذن، لماذا أتعبت نفسك؟ إذن، لماذا بحثت عن هذه المسألة؟ ولماذا طرحت هذه القضية في كتابك الذي أصبح أهم متن من الكتب الكلامية؟ وكان عليك من الأوَّل أنْ تقول: أنَّ الصحابة كذا فعلوا، ونحن كذا نقول، وإنَّا على آثارهم مقتدون، وكذلك يفعلون.

وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله الطاهرين .

[الدليل العقلي على إمامة علي عليه السلام]

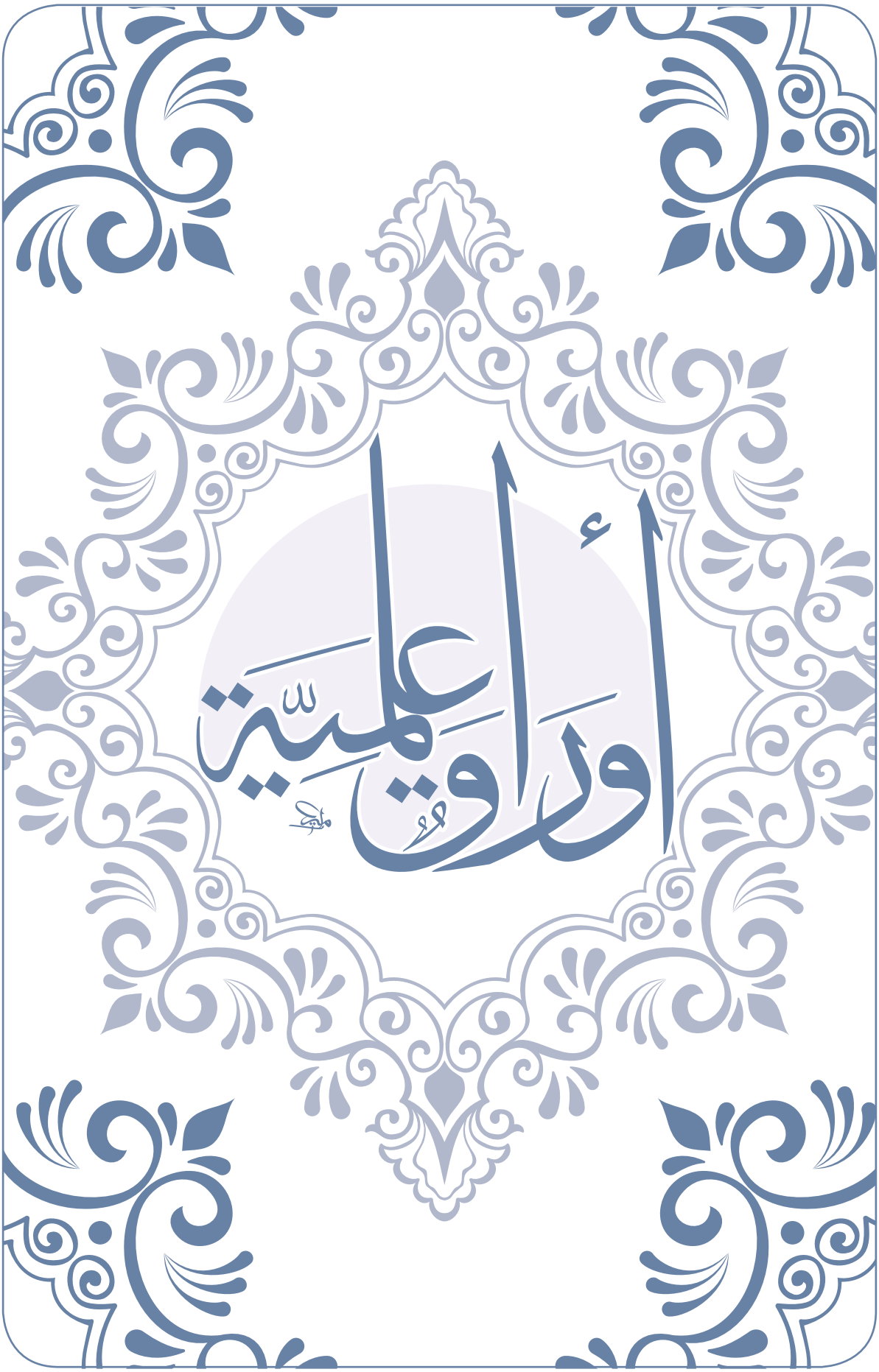
أوراق علمية

مدرسة النصّ ومدرسة الرأي

الشيخ باقر الإيرواني

يلتحق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى بعد إكمال رسالته الخالدة بشهادة القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].

وتبرز إثر ذلك مدرستان: (مدرسةُ النصِّ) و(مدرسة الرأي).

ونعني بالمدرسة الأولى: مدرسة أهل البيت عليهم السلام المتمثِّلة بشخص رئيسها أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده الذريَّة الطاهرة من ولده عليهم السلام.

والطابع اللائح على هذه المدرسة اعتمادها في مصادر التشريع على الكتاب والسنَّة لا غير، وحركة الاجتهاد لديها تتحرَّك داخل حدود المصدرين المذكورين.

وتنطلق هذه المدرسة في اقتصارها على المصدرين المذكورين من فكرة وفاء القرآن الكريم وسنَّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بكلِّ ما يحتاج إليه المسلمون من أحكام.

فالرسول صلى الله عليه وآله قد أودع من السنَّة الشريفة لدى أمير المؤمنين والذريَّة الطاهرة عليه السلام من ولده ما يغني المسلمين عن الحاجة إلى الاعتماد على غير النصِّ.

(١) سورة المائدة: آية ٣ .

ونعني بالمدرسة الثانية: مدرسة الخلفاء بشخص رئيسها الخليفة الثاني، والتي امتدَّت من بعده وبلغت أوجها على يد إمام الأحناف أبي حنيفة إلى حدٍّ كان يخالف النصَّ لأجل الرأي والاستحسان، فقد روى الخطيب البغدادي في تاريخه أنَّ أبا حنيفة كان يقول: «لو أدركني رسول الله ﷺ وأدركته، لأخذ بكثير من قولي، وهل الدين إلَّا الرأيُ الحسن»[1].

وتعتمد هذه المدرسة في مصادر التشريع إضافة إلى الكتاب والسنَّة على الرأي، وحركة الاجتهاد لديها لا تقتصر على داخل حدود النصِّ.. بل تتعدَّاه إلى خارجه وتجتهد وفق الرأي والاستحسان أيضاً.

وتنطلق المدرسة المذكورة في عقيدتها هذه من فكرتها الخاصَّة حول الكتاب والسنَّة الشريفين، وأنَّهما غير وافيين بما يحتاج إليه المسلمون من أحكام.

وقد برزت جذور هذه المدرسة في عهد النبيِّ ﷺ والسِّنين الأولى من عصر الرسالة، فكان النبيُّ ﷺ – وهو الذي لا ينطق عن الهوى – يقول شيئاً وجذور المدرسة المذكورة تحكِّم رأيها واجتهادها في مقابل النصِّ.

وعلى سبيل المثال كان النبيُّ ﷺ يأمر بكتابة سنَّته، والمدرسة تمنع؛ ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «كنت أكتبُ كلَّ شيء سَمِعته مِن رسولِ الله ﷺ، فنهتني قريش وقالوا: تكتب كلَّ شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرضا؟ فأمسكتُ الكتابة، فذكرتُ ذلك لرسول الله فأَومأ بإصبعه إلى فيه وقال: **اكتُب فو الَّذي نفسي بيدهِ ما خرج منهُ إلَّا حقٌّ**»[2].

وأمَرَ ﷺ في أُخريات حياته بإحضار كتاب يكتب لهم فيه ما لا يضلّون بعده أبداً، فامتنعت المدرسة، وقال بعض رجالها في حقِّ النبي ﷺ: قد غلبه الوجع.

(١) تاريخ بغداد: جـ١٣، ص٣٩٠.

(٢) سنن أبي داوود: جـ٣، ص١٥٧٨، ومسند أحمد: جـ١١، ص٤٠٦، وسنن الدارمي: جـ١، ص٤٢٩ .

وقد حدَّثنا البخاري في صحيحه عن ابن عباس: «لما حُضر النبيﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطَّاب قال: **هَلمَّ اكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده**، قال عمر: إنَّ النبيَّ غلبه الوجع وعندكم كتاب الله فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم مَن يقول: قرِّبوا يكتب لكم رسول اللهﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلمَّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبيِّ، قال: **قوموا عنِّي**»[1].

وينقل البخاري في موضع آخر من صحيحه أنَّهﷺ قال: «**آتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً**، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبيٍّ تنازُع، فقالوا: هجَر رسول اللهﷺ»[2]، ويأمر النبيﷺ بتنفيذ جيش أسامة ويجتهد آخرون في مخالفته.

يقول الشهرستاني: «الخلاف الثاني في مرضه أنَّه قال: «**جهِّزوا جيش أسامة، لعن اللَّهُ مَنْ تخلَّف عنه**» فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتدَّ مرض النبيﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أيَّ شيءٍ يكون من أمره»[3].

يقول أحمد أمين: «نقل عن كثير من كبار الصحابة قضايا، أفتوا فيها برأيهم كأبي بكر وعمر وزيد بن ثابت ... وكان حامل لواء هذه المدرسة أو هذا المذهب في ما نرى عمر بن الخطَّاب»[4].

[مراحل تطور فقه أهل البيت عليهم السلام]

(١) صحيح البخاري: جـ١١، ص١٢٠.
(٢) صحيح البخاري: جـ٥، ص١٧٥.
(٣) الملل والنحل، الشهرستاني: جـ١، ص٢٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: جـ٦، ص٥٢.
(٤) فجر الإسلام، احمد أمين: جـ١، ص٢٨٢.

الرشيد والوضوء

السيد علي الشهرستاني

لـمَّا آل الأمر إلى هارون الرشيد – الذي تعدُّ فترة حكمه أوج قوة العصر العباسي وعصرها الذهبي – نحا نفس منحى أسلافه في عدم قبول الإمـام عليٍّ وابن عبَّاس، وإن كان الأخير جَدَّهم – ورفض منهج أهل البيت الفكري والفقهي، فما أن دار الحوار السابق بين المهدي وشُرَيك، حتَّى قدم هـارون الرشيد الكوفة يعزل شريكاً عن القضاء[1]، وليس لنا حاجة هاهنا إلى شرح ظلم الرشيد للعلويين، ولكنَّ الذي نريد التأكيد عليه هو محاربته إياهم فقهيًّا إضافة إلى محاربتهم سياسيًّا وعسكريًّا.

(١) تاريخ بغداد: ج٩، ص٢٩٢.

فقد جاء رجل إلى الرشيد يخبره عن مكان يحيى بن عبد الله بن الحسن، ووصف له شكله ولباسه وهيئته وجماعته، فلم يطمئن الرشيد بل سأله: أوَ تعرف يحيى؟

قال: قديماً، وذاك الذي حقَّق معرفتي بالأمس له.

قال: فصِفْه لي.

قال: مربوع، أسمر حلو السمرة، أجلح، حسن العينين، عظيم البطن.

قال: هو ذاك، فما سمعته يقول؟

قال: ما سمعته يقول شيئاً، غير أنّي لـمَّا رأيته رأيت غلاماً له أعرفه، لـمَّا حضر وقت صلاته فأتاه بثوب غسيل فألقاه في عنقه ونزع جبته الصوف ليغسلها، فلـمَّا كان بعد الزوال صلَّى صلاة ظننتها العصر، أطال في الأوَّلتين وحذف الأخيرتين.

فقال له الرشيد: للهِ أبوك، لجاد ما حفظت، تلك صلاة العصر وذلك وقتها عند القوم[1].

فلم يطمئن الرشيد بكلِّ ما وصفه له ذلك الرجل وكل ما قاله، حتَّى إذا وصف له صلاة العصر ووقتها، والجمع بين الصلاتين عَلِمَ صدقه وتحقَّق معرفته به، وهذا يدل على بشاعة استغلال الحكام للفقه على الأصعدة كافَّة.

وأمَّا الوضوء، فقد كان الرشيد اتخذه مفردة يعرف بها الشيعة ليوقع بهم، ومن ذلك محاولته الإيقاع بعليِّ بن يقطين.

فعن محمد بن الفضل، قال: اختلفت الرواية من بين أصحابنا في مسح الرجلين في الوضوء، أهو من الأصابع إلى الكعبين أم من الكعبين إلى الأصابع؟

فكتب عليُّ بن يقطين إلى أبي الحسن موسى بن جعفر: جُعِلتُ فداك، إنَّ أصحابنا قد اختلفوا في مسح الرجلين، فإن رأيت أن تكتب إليَّ بخطِّك ما يكون بحسبه، فعلت إن شاء الله.

فكتب إليه أبو الحسن: «فهمت

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ٣١٠.

ما ذكرتَ من الاختلاف في الوضوء، والذي آمرك به في ذلك أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلل شعر لحيتك، وتغسل يديك إلى المرفقين ثلاثاً، وتمسح رأسك كلَّه، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنهما، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً ولا تخالف ذلك إلى غيره».

فلـمَّا وصل الكتاب إلى عليِّ بن يقطين، تعجَّب ممَّا رسم له - مما أجمعت العصابة على خلافه - ثمَّ قال: مولاي أعلم بما قال، وأنا ممتثل أمره. فكان يعمل في وضوئه على هذا الحدِّ، ويخالف ما عليه جميع الشيعة؛ امتثالًا لأمر أبي الحسن.

وسُعي بعليِّ بن يقطين إلى الرشيد، وقيل له: إنَّه رافضي مخالف لك، فقال الرشيد لبعض خاصته: قد كثر عندي القول في عليِّ بن يقطين والقَرْف - أي الاتهام - له بخلافنا، وميله إلى الرفض، ولست أرى في خدمته لي تقصيراً، وقد امتحنته مراراً، فما ظهر منه عليَّ ما يقرف به، وأحبُّ أن أستبرئ أمره من حيث لا يشعر بذلك فيستحرز منِّي.

فقيل له: إنَّ الرافضة - يا أمير المؤمنين - تخالف الجماعة في الوضوء فتخفِّفه، ولا ترى غسل الرجلين، فامتَحِنْه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه.

فقال: أجل، إنَّ هذا الوجه يظهر به أمره.

ثمَّ تركه مدَّة وناطه بشيء من الشغل في الدار، حتَّى دخل وقت الصلاة، وكان علي بن يقطين يخلو في حجرة في الدار لوضوئه وصلاته، فلـمَّا دخل وقت الصلاة وقف الرشيد من وراء حائط الحجرة بحيث يرى عليَّ بن يقطين ولا يراه هو، فدعا بالماء للوضوء، فتمضمض ثلاثاً واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه، وخلل شعر لحيته وغسل يديه إلى المرفقين ثلاثاً، ومسح رأسه وأذنيه، وغسل رجليه، والرشيد ينظر إليه، فلـمَّا رآه الرشيد فعل ذلك لم يملك نفسه حتَّى أشرف عليه بحيث يراه، ثمَّ ناداه: كذب - يا عليُّ بن

يقطين – من زعم أنَّك من الرافضة. وصلحت حاله عنده.

وبعد ذلك ورد عليه كتاب من أبي الحسن: «**ابتدئ من الآن يا عليُّ بنُ يقطين، توضَّأ كما أمر اللَّه، اغسل وجهك مرَّة فريضة وأخرى إسباغاً، واغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح بمقدَّم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما كان يُخاف عليك، والسلام**»[1].

وفي هذا دلالة كافية على أنَّ السلطة – ومَنْ حولها – قد اتخذت الوضوء الثنائي المسحي، سبيلًا لكشف الشيعة في القصر الهاروني؛ لأنَّ الوضوء أمر عبادي يتكرَّر فعله كلَّ يوم قبل الصلاة، فهو أوضح شاخص فقهي يُعرَف به (الرافضة) كما في تعبير هارون الرشيد.

وعلى كلِّ حال، فقد استمر الخلاف الوضوئي باحتدام وشدَّة، فكان المحدثون من أصحاب مدرسة التعبُّد المحض لا يرون إلَّا الوضوء النبوي الثنائي المسحي، وكانت الدولة وأتباعها – من فقهاء منع التحديث، ومن مدرسة الاجتهاد والرأي – لا ترى إلَّا الوضوء العثماني الثلاثي الغسلي.

وحين حصرت الدولة العباسية المذاهب الإسلامية بالمذاهب الأربعة – وهي جميعاً من مدرسة الاجتهاد والرأي – ودُوِّنت آراؤهم الفقهية، كان من ضمنها الوضوء العثماني، الذي أكدوا عليه أيَّ تأكيد، واختلفوا في فروضه وسننه وآدابه وكيفيته أشد الاختلاف مما يقف عليه المطالع في كتبهم الفقهية، فاتَّسعت الفجوة اتساعاً كبيراً بحيث تعسَّر ويتعسر رأبها، فصار الوضوءان خطَّين متوازيين لا يلتقيان.

[وضوء النبي صلى الله عليه وآله]

(١) الإرشاد: ج٢، ص٢٢٧؛ مناقب ابن شهرآشوب: ج٤، ص٢٨٨؛ الخرائج والجرائح: ج١، ص٣٣٥؛ إعلام الورى: ٢٩٣.

الزبدة في كيفية التعامل مع أحاديث الكافي وما هو دونه

السيد محمد رضا السيستاني

إنَّ الكافي وإن كان كتاباً جليل القدر عظيم المنزلة ولكن ليس كلُّ ما ورد فيه معتبراً يمكن البناء على صدوره من المعصومين عليهم السلام، والتعويل عليه في التوصُّل إلى المعارف الدينية ومعرفة الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى أنَّ هناك أموراً أخرى مؤثرة في مدى إمكانية الاعتماد على رواياته، فلابدَّ من مزيد التدقيق والتمحيص فيما يتعلق به من مختلف الجوانب.

وإذا كان هذا حال الكافي -وهو أجلُّ جوامع الحديث- فإنَّ الحال في غيره -ممَّا هو دونه شأناً- ينبغي أن يكون واضحاً لا يحتاج إلى صرف مزيد من الوقت في التعرُّض له.

تبقى الإشارة هنا إلى أمر وهو: أنَّ عدم اعتبار أيَّة رواية -مروية في الكافي أو في غيره- من كتب الحديث لا يُسوِّغ ردَّها بمعنى إنكارها ونفي صدورها عن المعصوم عليه السلام بل أقصى الأمر ردُّ علمها إليه وعدم التعويل عليها وحدها في إثبات حكم شرعي أو غيره من المعارف الدينية أو الوقائع التاريخية أو نحوها.

وهذا هو مقتضى عدد من النصوص كقوله عليه السلام[1]: «**إذا جاءكم عنَّا حديثٌ فوجدتم عليه شاهداً أو شاهدين من كتاب اللَّهِ فخذوه وإلَّا فقفوا عنده ثُمَّ ردُّوه إلينا حتى يستبينَ لكم**»، وقوله عليه السلام[2]: «**لا تكذِّبوا بحديث أتاكم أحدٌ فإنَّكم لا تدرون لعلَّه من الحقِّ فتكذِّبوا اللَّهَ فوق عرشِه**».

---

(١) الكافي، للكليني: ج٢، ص٢٢٢.

(٢) بصائر الدرجات، للصفّار: ج١، ص٥٣٨.

وقوله عليه السلام[1]: «**ما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبُكم وعرفتموه فاقبلوا، وما اشمأزت منه قلوبُكم وأنكرتموه فردُّوه إلى اللَّه وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد، وإنَّما الهالك أن يُحدِّثَ أحدُكم بشيء منه لا يحتمل فيقول: والله ما كان هذا واللَّه ما كان هذا، والإنكار هو الكفر**».

نعم، ما يكون من الحديث مخالفاً لكتاب الله تعالى أو للسُّنة القطعية يجب ردُّه كما ورد بذلك النصُّ كقوله عليه السلام[2]: «**ما وافقَ كتابَ اللَّهِ فخذوه، وما خالفَ كتابَ اللَّهِ فردُّوه**» وقوله عليه السلام[3]: «**ما جاءكم يخالفُ كتابَ اللَّهِ لم أقلْهُ**»، وقوله عليه السلام[4]: «**كلُّ حديثٍ لا يوافقُ كتابَ اللَّهِ فهو زُخرف**».

هذا ما تيسر إيراده في هذا المجال والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين الهداة الميامين.

[مقتبسة من (بحوث في أحكام صلاة المسافر، مخطوط): ج٥، ص٤٣-٤٤]

(١) الكافي للكليني: ج١، ص٤٠١.
(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢٧، ص١١٨.
(٣) الكافي للكليني: ج١، ص٦٩.
(٤) الكافي للكليني: ج١، ص٦٩.

قاعدة التجاوز والفراغ والقرعة

الشيخ جعفر السبحاني

إذا شكَّ في وجود الشيء، كالشكِّ في الركوع بعد السجود، أو الشكِّ في صحَّة الشيء الموجود، كالشكِّ في الصلاة المأتي بها، بعد الفراغ، فالأصل هو عدم الاعتداد بالشكِّ، سواء أتعلَّق بوجوده أم بصحَّته، وقد تضافرت الروايات في هذا المضمار، وفي الحقيقة يرجع هذا الأصل إلى حمل فعل النفس على الصحَّة كما أنَّ القاعدة السابقة ترجع إلى حمل فعل الغير على الصحَّة، فكأنَّهما قاعدة واحدة لها وجهان.

وتدلُّ عليها من الروايات، صحيحة زُرارة قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام : رجل شكَّ في الأذان والإقامة وقد كبَّر؟ قال: «**يمضي**»، قلتُ: رجل شكَّ في التكبير وقد قرأ؟ قال: «**يمضي**»، قلتُ: شكَّ في القراءة وقد ركع؟ قال: «**يمضي**»، قلتُ: شكَّ في الركوع وقد سجد؟ قال: «**يمضي على صلاته**»، ثُمَّ قال: «**يا زرارة إذا خرجت من شيء ثُمَّ دخلت في غيره فشكُّك ليس بشيء**»[1].

والرواية وإن وردت في مورد الصلاة لكن المستفاد من الذيل أنَّها بصدد إعطاء ضابطة كلِّية في جميع المجالات، وأنَّ المكلَّف إذا قام بعمل سواء أكان مركَّبًا أم بسيطاً، عبادياً كان أم معاملياً، وخرج منه ثُمَّ شكَّ فيه، لا يلتفت إليه، ويؤيده سائر الروايات الواردة في هذا المضمار.

روى بكير بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: الرجل يشكُّ بعدما يتوضأ؟ قال: «**هو حين يتوضَّأ أذكرُ منه حين يشكُّ**»[2].

والتعليل بأمر ارتكازي يدلُّ على أنَّها قاعدة عامَّة في جميع أبواب الفقه من غير فرق بين العبادات والمعاملات.

ثُمَّ إنَّ القاعدة متقدِّمة على

(١) الوسائل للحر العاملي: ٥، الباب ٢٣ من أبواب الخلل في الصلاة، الحديث ١.

(٢) الوسائل للحر العاملي: ج١، الباب ٤٢ من أبواب الوضوء، الحديث ٧.

الاستصحاب بوجهين:

١. إنَّ الإمـــام قـدَّمـهـا على الاستصحاب في صحيحة زرارة حيث إنَّ الأصـل كـان يقتضي عدم تحقّق الركوع والسجود، مع أنَّه عليه السلام حكم بالصحة وعدم الاعتداد.

٢. إنَّ تقديم الاستصحاب على القاعدة يستلزم لغوية تشريعها ...، فإنَّ كلَّ مشكوك مسبوقٌ بالعدم فلا يبقى مجال لقاعدة التجاوز والفراغ.

قاعدة القُرعة:

القُرعة في اللغة: بمعنى الـدَّق والـضرب، يقال قرع البـاب: دقَّه، وقال ابن فارس: والإقراع والمقارعة بمعنى المساهمة، وسمِّيت بذلك لأنَّها شيء كـأنَّـه يـضرب.[1] ويظهر من الآيات والروايات أنَّ القرعة كانت رائجة في الأعصار السابقة عند تزاحم الحقوق والمصالح دفعاً للترجيح بلا ملاك والتفريق بلا وجه، ولا يتمسك بها إلَّا إذا انغلقت أبواب الحلول كلُّها وانحصر وجه الحلِّ بها.

أ . قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[2].

ب . وقـال سبحـانه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾[3].

هـذا ما في الذكر الحكيم، وقد وردت في السُّنَّة روايات كثيرة حول القُرعة تناهز ٦٢ حديثاً، ومن جوامع الكَلِم قول النبيِّ صلى الله عليه وآله: «ليس من قوم تنازعوا ثُمَّ فوَّضوا أمرهم إلى اللَّه إلَّا خرج سهم المحقِّ».

[الوسيط في أُصول الفقه]

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: مادة قرع.

(٢) سورة آل عمران: آية ٤٤.

(٣) سورة الصافات: آية ١٣٩ -١٤١.

أوراد تاريخية

عبد الله بن عباس

مع معاوية في أيام حكمه

السيد محمد تقي الحكيم

وأوَّل ما يواجهنا في ذلك، مظاهر انصراف عن الاتصال بالسلطة وابتعاد عن أجوائها، إلَّا في حدود ما تدعو إليه ضرورة اقتصادية أو دينية.

وهذا طبيعي إذا لاحظنا أوزان خصومه من القائمين على سياسة البلاد في نفسه، بالإضافة إلى ما تقتضيه طبيعة الخصومة بين أيِّ شخصين.

وطبيعة الخصومة هنا متأصِّلة لا بين شخصيهما أو بيتيهما فحسب، بل بين مبدأين ونفسيَّتين.

وكان معنى تغلُّب أحدهما هو تغلُّب قيمة على قيمة ومبدأ على مبدأ، لا شخص على شخص أو بيت على بيت، وكان هو – بحكم رواسبه الإسلامية – يحتقر ذلك المبدأ وتلكم القيمة، ويحتقر القائم عليهما، فمن الطبيعي إذاً أن يبتعد جهده عن الوقوع في ركابه، وأن يتحيَّن الفرص للوقوف دون تنفيذ خططه، سواء بتركيز المبادئ التي يدين بها في نفوس الرأي العام من طريق تثقيفه وتعليمه، أم بالتنديد بأساليب هذه السياسة ومناهجها تنديداً مباشراً وغير مباشر تبعاً لاختلاف الظروف.

وكانت هذه الظاهرة – ظاهرة احتقاره لخصمه – تبدو أكثر ما تبدو عندما يثار بينهما حديث من احتجاج أو مفاخرة. وفي أوَّل اجتماع بينهما في المدينة – عندما قَدِمَها معاوية بعد عام الجماعة – تجلَّى ذلك الاحتقار.

وقبل أن نتحدَّث عن ذلك الاجتماع

نعرض لشيء من سياسة معاوية خلال انفراده بالحكم بعد صلح الإمام(عليه السلام)، وموقف صاحبنا منها لنلقي بعض الأضواء على أسرار موقفه هذا منه.

وسياسة معاوية نستطيع أن نعرفها جيداً إذا علمنا أنَّهُ ما كان ليجهل أن غلبته على خصومه، وسيطرته على الحكم، لم تكن سيطرة طبيعية وغلبة اقتضتها عوامل تعود إلى امتياز فيه؛ لتوفر القيم التي خلقها الإسلام، وتواضع عليها المسلمون في طبعه، وتخلِّيها عن خصومه من الهاشميين، أو لرجحانه عليهم في موازين تلكم القيم على الأقل، وإنَّما كان – لظروف طارئة – هو أعرف الناس بكيفية حدوثها وتكوُّنها، والأساليب التي اتُّبِعت في سبيل إتمامها، بما فيها من مكر وخداع ومساومة على المبادئ، وشراء للعواطف، إلى ما هنالك من الأساليب التي كان هو بالذات بطل استعمالها ضد خصومه، وهم لا يملكون منها شيئاً.

وإذا استطاع أن يجذب بها طبقة خاصة من قادة الرأي العام، الذين حرمهم الإسلام امتيازاتهم، ووقف منها الإمام(عليه السلام) موقفه المعروف، بينما أعادها هو عليهم بأوسع صورها، فإنَّهُ لا يأمن أن تثور الشعوب ثورتها فتعصف به وبالزعماء؛ ما دام رصيد خصومه من القيم الإسلامية متوفراً فيهم، وفي الشعوب إثارة من خلق إسلامي مركَّز، وبينهما بقية موجهة وهي لا تؤمن بغير أولئك الخصوم.

لهذا وذلك ولإبقاء الحكم بيده ويد ولده، ويتوارثونه جيلاً بعد جيل، لا بدَّ من العمل على ضمان ذلك كلِّه له بأيِّ ثمن كان، وكانت أمامه عقبات مهمة:

أولاها: إعطاؤه ولاية العهد للإمام الحسن(عليه السلام) من بعده، وسنرى موقفه منها في القادم من الأحاديث...

ثانيها: توفر أنصار خصومه من آل البيت، وكثرة محبيهم من المسلمين، وبخاصَّة أولئك الذين أدخلت عليهم عدالة الإمام(عليه السلام) الاجتماعية شيئاً من الوفر؛ لمساواته في العطاء، ورفعه للامتيازات الطبقيَّة التي خلقها بعض سابقيه.

ثالثها: أهميَّة رصيدهم من الفضائل

والقيم الإسلاميَّة، وقد جاء ذكر الكثير منها على لسان النبيِّ صلى الله عليه وآله، وتداوله المسلمون، وربَّما ميَّزهم بأحاديث تشير إلى صفات ينفردون بها من بينهم، كما ورد في حقِّ الإمام عليه السلام كثير من ذلك.

رابعها: فقده وفقد أسرته لذلك الرصيد، واحتياجهم إلى مثله، لكسب عطف الشعوب المسلمة عليهم.

وضمان استمراره بالحكم أن يأتي على كلِّ تلكم العقبات، مهما كلَّفه الأمر، فكانت أوَّل خطوة له أن أصدر أمراً إلى عُمَّاله بتحريم رواية فضائل الإمام وأهل البيت عليهم السلام، يقول المدائني في كتاب الأحداث: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عُمَّاله بعد عام الجماعة: أن بَرئتِ الذِّمةُ ممَّن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته»[1].

وكانت خطوته الثانية أن يعزّز رصيدهم من أحاديث المناقب، فكتب إلى عُمَّاله أيضاً: «أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبِّيه، وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقرِّبوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته» يقول الراوي: «ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه؛ لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلِّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عُمَّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلَّا كتب اسمه وقرَّبه وشفَّعه»[2].

وكتب ثالثاً... بعد أن فشت الأحاديث في عثمان: «أنَّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلِّ مصر وفي كلِّ وجهة وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوَّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلَّا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة، فإنَّ هذا أحبُّ إليَّ وأقرُّ لعيني، وأدحضُ لحجَّة أبي تراب وشيعته، وأشدُّ عليهم من مناقب عثمان

(١) شرح نهج البلاغة: ج٣ ص ١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج٣ ص ١٦.

وفضله»[1].

وكانت نتائج هذه الكتب - فيما يحدِّث الراوي -: «فرويتُ أخبارًا كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلَّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علَّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم.. الخ»[2].

ثُمَّ قام بعد ذلك بحملة إرهابية قوية، أسكت بها الشيعة عن الحديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام، وتجاوز ذلك بالكتابة إلى عُمَّاله.. «أن لا يجيزوا لأحد من شيعة عليٍّ وأهل بيته شهادة»[3]، وكتب أيضاً: «انظروا إلى من قامت عليه البينة أنَّهُ يحب عليًّا وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه...»[4].

ثُمَّ تجاوز ذلك بالكتابة إليهم: «من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكِّلوا به واهدموا داره»[5].

وبهذه الخطوات تصوَّر معاوية أنَّهُ وضع يده على زمام الموقف، بما كوَّن له ولأسرته من الرصيد، وبما أضعف من رصيد خصومه، واستأصل من أمر شيعتهم بالضغط والتنكيل، غافلاً عن أنَّ طبيعة الشعوب - كطبيعة - لابدَّ أن يفجِّرها الضغط ولو بعد حين.

وكانت هذه الأعمال ونظائرها ممَّا تبلغ سمع صاحبنا وغيره من أهل البيت عليهم السلام، فلا يملكون لدفعها سبيلاً، اللهم إلَّا أن يجنِّدوا من أنفسهم أبطالاً للتنديد بها وبأساليبها، ثُمَّ نشر ما حاولوا طمسه من فضائل هذا البيت.

وبالطبع أنَّ مثل هذه المهمَّة لابدَّ أن تلقى على عاتق ابن عباس بالدرجة الأولى، وما كان لمثله أن يسكت ولديه من ثقة الناس بصدقه وسعة أفقه ووفرة رصيده ما يعزز كلَّ حديث يصدر عنه.

وهكذا كان، فقد نشط للحديث في

(١) شرح نهج البلاغة: ج٣ ص ١٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) شرح نهج البلاغة: ج٣ص ١٦.

فضائل أهل البيت عليهم السلام ونشر ما يتعلَّق منها بالإمام عليه السلام على الأخصِّ، وبالطبع ما كان ليخفى على معاوية ذلك، وما كان ليهون عليه هذا التحدِّي السافر له ولسياسته، وفي أوَّل اجتماع بينهما تكشَّفت عواطف كل منهما تجاه الآخر، بما في عواطف ابن عباس من مظاهر الاحتقار له.

حدَّث الزبير بن بكَّار قال: «حجَّ معاوية فجلس إلى ابن عباس، فأعرض عنه ابن عباس فقال معاوية: لِمَ تَعْرِضُ عَنِّي! فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ ابْنِ عَمِّكَ».

فكانت هذه المفارقة مثار سخرية لصاحبنا، لم يطق الصبر عليها رغم احتقاره له بإعراضه عنه، فأجاب عليها بقوله: لم ذاك! لأَنَّهُ كان مسلماً وكنت كافراً قال: معاوية: لا ولكن ابن عمِّي عثمان قتل مظلوماً» قال ابن عباس: «وعمر رحمه الله قتل مظلوماً»، وضاعت منافذ القول على معاوية بعد أن جُبه بهذه الحجَّة، وظهر الارتباك على جوابه حين قال: «إنَّ عمر قتله كافر، وإنَّ عثمان قتله المسلمون» فقال ابن عباس والسخرية على شفتيه: «ذاك أدحض لحجَّتك فسكت معاوية»[1].

وهذه الرواية ذكرها سُليم بن قيس الهلاليُّ، وحدد زمنها على رواية بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام، أي: بعد عام الجماعة وفي أوَّل حجَّة حجَّها معاوية، وفيها: «أنَّ معاوية مرَّ بحلقة من قريش فلمَّا رأوه قاموا إليه غير عبد الله بن عباس فقال له: يا بن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك؟ إلَّا لموجدة عليَّ لقتالي إيَّاكم يوم صفين».. ثُمَّ يأتي على حديث الزبير بتغيير يسير، ثُمَّ ينتهي إلى نهي معاوية لصاحبنا عن التحدُّث بفضائل أهل البيت عليهم السلام وتهديده له عليها، وازدراء ابن عباس له يقول معاوية: «وكتبنا في الآفاق ننهى عن ذكر مناقب عليٍّ وأهل بيته، فكفَّ لسانك يا بن عباس، واربع على نفسك»، وكان يظن أنَّهُ بهذا التهديد يقوى على إسكاته، ولكن ابن عباس أجابه بجوابٍ قاطع لا يخلو من ازدراء قال: «فتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا،

(١) كشف الغمة: ١٢٨ نقلًا عن الزبير بن بكَّار.

قال: فتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم، قال: فنقرؤه ولا نسأل عمَّا عنى الله به؟ قال: نعم، قال: فأيُّها أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال: العمل به، قال: فكيف نعمل به حتى نعلمَ ما عنى الله بما أنزل علينا! قال: سل عن ذلك من تأوَّله على غير ما تتأوَّله أنت وأهل بيتك»، وساء صاحبنا أن تبلغ المفارقة بمعاوية إلى هذا الحدِّ، فأجابه بتأثر بالغ: «قال: إنَّما أُنزِل القرآن على أهل بيتي، فاسأل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط واليهود والنصارى والمجوس؟! قال: فقد عدلتنا بهم؟ قال: لعمري ما أعدلك بهم إلَّا إذا نهيت الأُمَّة أن يعبدوا الله بالقرآن، وبما فيه من أمر ونهي أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو عام أو خاص أو محكم أو متشابه، وإن لم تسأل الأُمَّة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا».

قال معاوية -وقد ضاق بمنطق ابن عباس -: «فاقرؤا القرآن ولا تروا شيئاً ممَّا أنزل الله فيكم، وممَّا قال رسول الله، واروا ما سوى ذلك..

ثُمَّ يقول: يا بن عباس أكفني نفسك وكفَّ لسانك، وإن كنت لا بدَّ فاعلاً فليكن سراً، ولا تسمعه أحداً علانية».. تقول الرواية «ثُمَّ رجع إلى منزله فبعث إليه بخمسين ألف درهم»[1]، وفي رواية أخرى «بمائة ألف درهم»[2]، ثُمَّ لم تحدِّث بعد ذلك عن قبول هذا المبلغ أو ردِّه، والظاهر أنَّهُ لم يردَّه.. وسنرى وجهة نظره في قبول أمثال هذه الأموال من خصمه.

ولكن هل كان لهذا التهديد ولهذه الصلة مفعولها في نفسه؟ وهل أسكتته عن الجهر برسالته؟ أو قلَّلت من مظاهر احتقاره لخصمه؟ الظاهر أنَّها لم يكن لها ذلك المفعول.

وفي أحاديثه بعد هذا الزمن معه ما يدلُّ على استمراره من موقفه منه ومن مبدئه... وسنأتي عليها في مباحث قادمة.

وقد لاحظ فيما يتعلق في احتقاره حتى بعد هذا الزمن بعض مؤرخيه، فسجَّلوا انطباعاتهم عنها، ففي العقد الفريد «اجتمعت قريش الشام والحجاز

(١) كتاب سليم بن قيس الهلاليِّ - لم تذكر المطبعة ولا سنة الطبع -: ١٢٩.
(٢) المصدر السابق.

عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس، وكان جريئاً على معاوية حقَّاراً له فبلغه عنه بعض ما غمَّه».

وربَّما كان ما بلغه هو إصراره على التنديد بسياسته، ونشره لفضائل الإمام(عليه السلام)، فقال معاوية وهو يجمع بين ترضِّيه واستجلاب عاطفته من جهة، وتوعيده وتهديده من جهة أخرى: «رحم الله أبا سفيان والعباس كانا صفيين دون الناس، فحفظت الميت في الحي والحي في الميت، استعملك علي يا بن عباس على البصرة، واستعمل عبيد الله أخاك على اليمن، واستعمل أخاك على المدينة، فلمَّا كان من الأمر ما كان هنأتكم ما في أيديكم ولم أكشفكم عمَّا وعت غرائركم، وقلت: آخذ اليوم وأعطي غداً مثله، وعلمت أنَّ بدء اللؤم يضرُّ بعاقبة الكرم، ولو شئت لأخذت بحلاقيمكم وقيَّأتكم ما أكلتم، لا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل، وذنوبكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم، خذلتم عثمان بالمدينة وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وحاربتموني بصفين، ولعمري لبنو تيم وعدي أعظم ذنوباً منَّا إليكم، إذ صرفوا عنكم هذا الأمر وسنُّوا فيكم هذه السُّنَّة، فحتى متى أغضي الجفون على القذى، وأسحب الذيول على الأذى، واقول: لعلَّ الله وعسى، ما تقول يا بن عباس».

وكان جواب ابن عباس رائعاً جداً تناول بنفس اللباقة المعروفة عنه الإجابة على كلِّ كلمة بكلمة أمضَّ منها، بتعالٍ يشعر بهوان خصمه عليه: «رحم الله أبانا وأباك كانا في صفين متفاوضين، لم يكن لأبي من مال إلَّا ما فضل لأبيك، وكان أبوك كذلك لأبي، ولكن من هنأ أباك بإخاء أبي أكثر ممن هنأ أبي بإخاء أبيك.

نصر أبي أباك في الجاهلية وحقن دمه في الإسلام، وأمَّا استعمال عليٍّ إيَّانا فلنفسه دون هواه، وقد استعملت أنت رجالاً لهواك لا لنفسك، منهم ابن الحضرمي على البصرة فقُتل، وبسر بن أرطاة على اليمن فخان، وحبيب بن مرَّة على الحجاز فرُدَّ، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحُصِّب».

[عبد الله بن عباس/ شخصيته وآثاره]

خروج السفياني

الشيخ باقر شريف القرشي

من العلامات الحتمية لظهور الإمام المنتظر عليه السلام خروج السفياني وهو من أعمدة الشر والفساد في الأرض، ولا بدَّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عنه.

نسبه: نصَّت بعض المصادر أنَّ السفياني من نسل خالد بن يزيد[1] حفيد أبي سفيان العدو الأوَّل للرسول وللإسلام، وهذه الأسرة لم تنجب إلَّا أعداء الإسلام، وخصوم القرآن، وأراذل البشرية.

ملامحه: أمَّا ملامحه فهي: «ضخم الهامة، وبوجهه أثر الجدري وبعينه نكتة بيضاء»[2].

صفاته النفسية: أمَّا نزعاته فهي تحمل الشر والإثم والظلم والاعتداء على الناس، فهو إنسان منسوخ، من أقذر مَن عرفتهم الإنسانية، فإنَّهُ إذا ظهر يقتل الصبيان ويبقر بطون النساء[3]، ويقتل الأبرياء إلى غير ذلك من ظلمه وموبقاته.

حديث للإمام أمير المؤمنين عن السفياني: وأدلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحديث مهم عن السفياني، أعرب فيه عن جرائمه وموبقاته، وما يقترفه من الظلم والجور، قال عليه السلام بعد ما ذكر اسمه:

(١) عقد الدرر الحديث ١٢٢ من الباب الرابع، وفي حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ اسمه حرب بن عنبسة بن مرة بن سلمة بن يزيد بن عثمان بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ومعنى ذلك أنَّهُ مولود قبل الإمام المنتظر عليه السلام، ومختفٍ عن الأبصار، وفي مشارق الأنوار (ص١٠٢) أنَّ السفياني من ذرية أبي سفيان.

(٢) عقد الدرر.

(٣) عقد الدرر.

«إنَّهُ: ملعونٌ في السماء، ملعونٌ في الأرض، أشدُّ خلقِ اللَّهِ جورًا، وأكثرُ خلقِ اللَّهِ ظلمًا».

وذكر عليه السلام أمورًا ثُمَّ قال: «ثُمَّ يخرج إلى (الغوطة) فما يبرح حتى يجتمع الناس إليه، ويلحق بهم أهل الضغائن، فيكون في خمسين ألفًا، ثُمَّ يبعث إلى كلب.[1] فيأتيهم منه مثل السيل. ويكون في ذلك الوقت رجال البربر يقاتلون رجال الملك من ولد العباس، وهم الترك، والديلم والعجم راياتهم سوداء، وراية البربر صفراء، وراية السفياني حمراء، فيقتتلون ببطن الوادي في (الأردن) قتالًا شديدًا، فيقتل فيما بينهم ستون ألفا، فيغلب السفياني، وأنَّهُ ليعدل فيهم حتى يقول القائل: ما كان يقال فيه إلَّا كذب، واللَّه إنَّهم لكاذبون، لو يعلمون ما تلقى أمة محمد منه ما قالوا ذلك، فلا يزال يعدل حتى يسير ويعبر (الفرات)، ثُمَّ يرجع إلى (دمشق)، وقد دان له فيجِّيش جيشين: جيشًا إلى (المدينة)[2] وجيشًا إلى (المشرق)، فأمَّا جيش المشرق فيقتلون بـ(الزوراء)[3] سبعين ألفًا، ويبقرون بطون ثلاثمائة امرأة، ويخرج الجيش من (الزوراء) إلى (الكوفة) فيقتل بها خلقًا، وأمَّا جيش (المدينة) «بعد أن يفعلوا بالمدينة ما أحبُّوا يخرجون منها إلى (مكة)، وإذا توسَّطوا البيداء صاح بهم صائح وهو جبرائيل فلا يبقى منهم صالح إلَّا خسف الله تعالى به، ويكون في آخر الجيش رجلان: يقال لهما: بشير فيبشرهم[4] والآخر نذير فيرجع إلى السفياني فيخبره بما نال الجيش عند ذلك، وأنَّهما أيْ: البشير والنذير من جهينة.

ثُمَّ يهرب قوم من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بلد الروم فيبعث السفياني إلى ملك الروم: رُدَّ إليَّ عبيدي، فيردهم إليه، فيضرب أعناقهم على الدرج شرق مسجد (دمشق) فلا ينكر

(١) الكلب: لقب لإحدى القبائل العربية، ويعرفون بـ(بني كلاب).

(٢) المدينة: هي مدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

(٣) الزوراء: هي بغداد.

(٤) المهدي الموعود المنتظر: ج٢ ص٩٧-١٠٠ نقلًا عن عقد الدرر.

ذلك عليه، ثُمَّ يسير في سبعين ألفا نحو العراقين: (الكوفة) و(البصرة)، ثُـمَّ يـدور الأمـصـار، ويَـحُـلُّ عرى الإسـلام عـروة بعد عـروة، ويقتل أهـل العلم، ويـحـرق المصاحف، ويخرب المساجد، ويستبيح الحرام، ويأمر بضرب الملاهي، والمطامير في الأسـواق، والشرب على قوارع الطرق، ويحلل الفواحش، ويحرم عليهم كل ما فرض الله تعالى عليهم من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والفجور، بل يـزداد تمردًا وعتوًّا، ويقتل كل من اسمه أحمد ومحمد، وعـلـي، وجعفر وحـمـزة، وحسن، وحسين، وفاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وخديجة، وعاتكة، حنقًا، وبغضًا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثُمَّ يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما آذيناك، فيأخذ اثنين اسمهما حسن، وحسين فيصلبهما.

ثُمَّ يسير إلى (الكوفة) فيفعل بهم كما فعل بالأطفال، ويصلب على باب مسجدها طفلين: اسمهما حسن وحسين، فتغلي دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا، فإذا رأى ذلك أيقن بالبلاء والهلاك، فيخرج منها متوجهًا إلى (الشام) فلا يرى في طريقه أحدًا يخالفه، فإذا دخل (دمشق) اعتكف على شرب الخمر والمعاصي، ويأمر أصحابه بذلك.

ويخرج السفياني وبيده حربة فيأخذ الـمـرأة فيدفعها إلـى بعض أصحابه، فيقول: أفجر بها، وسط الطريق ويبقر بطنها، فيسقط الجنين من بطن أمه، فلا يقدر أحد أن يغير ذلك، فتضطرب الملائكة في السماء، فيأمر اللَّه عزوجل جبرائيل عليه السلام فيصيح على سور (دمشق) ألا قد جاءكم الغوث يا أُمَّة محمد، قد جاءكم الفرج وهو المهدي خارج (مكة) فأجيبوه».

وذكر الإمام عليٌّ أوصاف الإمام المهدي عليه السلام، وأوصـاف أصحابه وعددهم، وأوصاف السيد الحسني الـذي يبايع الإمـام هـو وأصحابه بعدما يرون الكرامة والمعجزة منه، وأضاف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك قائلا: «وتقع الضجة في (الشام)

ألا إنَّ أعراب (الحجاز) قد خرجوا إليكم، فيقول السفياني لأصحابه، ما تقولون في هؤلاء القوم؟ فيقولون: هم أصحاب نبل وإبل، ونحن أصحاب القوة والسلاح، أخرج بنا إليهم، فيرونه قد جبن، وهو عالم بما يراد منه، فلا يزالون به حتى يخرجوه فيخرج بخيله ورجاله وجيشه بمائتي ألف وستين ألفًا حتى ينزلوا بحيرة (طبرية)، فيسير المهدي، لا يحدث في بلد حادثة إلَّا الأمن والأمان والبشرى، عن يمينه: جبرائيل، وعن يساره: ميكائيل، والناس يلحقونهم من الآفاق، حتى يلحقوا السفياني على بحيرة (طبرية)، ويغضب الله تعالى على السفياني وجيشه، ويغضب سائر خلقه عليهم حتى الطير في السماء، فترميهم بأجنحتها، وإنَّ الجبال لترميهم بصخورها، فتكون وقعة يُهلِك اللَّه عزّ وجلّ فيها جيش السفياني، ويمضي هاربًا، فيأخذه رجل من الموالي اسمه صباح، فيأتي به إلى المهدي عليه السلام وهو يصلِّي العشاء الآخرة فيبشره فيخفف في صلاته ويخرج، ويكون السفياني قد جعلت عمامته في عنقه ويسحب، فيوقفه بين يديه، فيقول السفيانيُّ للمهديِّ يا بن العم مُنَّ عليَّ بالحياة أكون لك سيفاً بين يديك، أجاهد أعداءك، والمهدي جالس بين أصحابه وهو أحيى من عذراء، فيقول: خلُّوه، فيقول أصحاب المهدي: يا بن بنت رسول اللَّه تمنُّ عليه بالحياة وقد قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: شأنكم وإيَّاه، وقد كان خلَّاه فيلحقه صباح في جماعة إلى عند السدرة فيضجعه، ويذبحه، ويأتي برأسه إلى المهدي، فتنظر شيعته إلى الرأس فيهللون ويكبرون، ويحمدون الله على ذلك، ثُمَّ يأمر المهدي بدفنه»[1].

والحديث بناء على صحة سنده، قد ألمَّ بشؤون السفياني، وإنَّهُ إرهابي مجرم سفَّاك للدماء، ومبيح لجميع ما حرَّمه الله، وإنَّ نهايته تكون على يد الإمام عليه السلام.

[حياة الإمام المنتظر عليه السلام]

(١) ينابيع المودة: ص ٤١٤.

الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) والحسن (عليه السلام)

الشيخ محمد تقي فلسفي

يتجلّى مدى اهتمام الرسول الأعظم ﷺ بتكريم أولاده من الرواية التالية. يقول الراوي: «دُعي النبي ﷺ إلى صلاة والحسن متعلّق به، فوضعه النبيُّ ﷺ مقابل جنبه وصلّى. فلمّا سجد أطال السجود، فرفعت رأسي من بين القوم فإذا الحسنُ على كتف رسول الله ﷺ، فلمّا سلّم قال له القوم: يا رسول، لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، كأنّما يوحى إليك. فقال: **لم يُوحَ إليَّ، ولكن ابني كان على كتفي، فكرهت أن أعجله حتى نزل**»[1].

هذا العمل من النبيِّ ﷺ تجاه ولد

(١) بحار الأنوار: ج١٠، ص٨٢.

صغير أمام ملأ من الناس نموذج بارز من سلوكه في تكريم الطفل. إنَّ الرسول صلى الله عليه وآله عمل أقصى ما يمكن من احترام الطفل في سجدته، وأرشد الناس - ضمناً - إلى كيفية إحياء الشخصية والاستقلال عند الطفل.

لقد كان أطفال الناس أيضاً يحوزون احتراماً وتكريماً من قائد الإسلام العظيم، وكان يبذل لهم من العناية بمشاعرهم الروحية وعواطفهم ما يبذله لأولاده. فعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّهُ قال: «**صلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس الظهر فخفَّف في الركعتين الأخيرتين. فلمَّا انصرف قال له الناس: هل حدث في الصلاة حدثٌ؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: خفَّفت في الركعتين الأخيرتين. فقال لهم: أمَا سمعتم صراخ الصبيِّ؟!**»[1].

وهكذا نجد النبي العظيم يطيل في سجدته تكريماً للطفل تارة، ويخفِّف في صلاته تكريماً للطفل أيضاً تارة أخرى، وهو في كلتا الصورتين يريد التأكيد في احترام شخصية الصبيِّ وتعليم المسلمين طريق ذلك.

ومثل هذا نجده في الحديث الآتي: «عن النبيِّ صلى الله عليه وآله أنَّهُ كان جالساً، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام. فلمَّا رآهما النبيُّ قام لهما، واستبطأ بلوغهما إليه، فاستقبلهما وحملهما على كتفيه، وقال: **نعمَ المطيُّ مطيُّكما، ونعم الراكبان أنتما**»[2].

في هذا الحديث نجد أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله يكرم سبطيه بشتى الصور: يقوم لهما، وينتظرهما، ويستقبلهما، ويجلسهما على كتفيه، هذا من الناحية العملية، وأمَّا قولًا فهو يقول في حقِّهما: **نعم الراكبان أنتما**. إن ما يجلب الانتباه هو أن المسلمين في الغالب، ولهذا الأمر فائدتان: الأولى أنَّ جذور شخصية السبطين كانت تقوى وتستحكم بفضل احترام النبيِّ لهما أمام الناس، والثانية أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان يُعلِّم الناس طريق تربية الأطفال بصورة تطبيقية. لقد كان أطفال المسلمين أيضاً متمتعين بهذا الاحترام والعطف من النبيِّ أيضاً.

(١) الكافي للكليني: ج٦، ص٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ج١٠، ص٨٠.

«كان ﷺ يقدم من السفر، فيتلقَّاه الصبيان فيقف لهم، ثُمَّ يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم. فربما يتفاخر الصبيان بعد ذلك، فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه، وحملك أنت وراءه، ويقول بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم»[1].

ممَّا سبق يظهر جليًّا أنَّ الأطفال كانوا يتمتعون بهذه المناظرة السارة، وكانوا يفرحون كثيراً بهذا السلوك الممتاز فلا ينسون تلك الخواطر الطيبة، بل كانوا يتحدثون عنها فيما بعد ويتفاخرون بتقدم رتبة بعضهم على بعض بمقدار تكريم النبيِّ لهم. يقولون: إنَّ الأطفال يستأثرون باهتمام العصر الحاضر، وإنَّ تربيتهم تشغل مجالًا واسعاً من تفكير الحكومة والشعب. فهل يمكن أن يبلغ اهتمامهم بالأطفال، الدرجة التي بلغها اهتمام الرسول الأعظم بهم وتكريمه لهم؟!

يقولون: إنَّ الزعماء والقادة في الدولة المتمدنة يزورون رياض الأطفال ودور الأيتام ويقضون ساعة أو ساعتين مع الأطفال، فيحتضنونهم ويلتقطون الصور معهم ثُمَّ ينشرونها في الصحف ويكتبون المقالات المطوَّلة حول ذلك ومن هذا الطريق يُفهِمون الرأي العام بمدى عطفهم واحترامهم تجاه الأطفال ولكن أيُّ قائد يفعل ما كان يفعله الرسول الأعظم ﷺ تجاه الأطفال من استقبالهم على أتمِّ البساطة والعطف في الطرق والشوارع وحملهم على كتفه؟!

وبصورة أساسية فإنَّ الرسول الأعظم ﷺ كان يعامل جميع الأطفال سواء كانوا أبناءه أم أبناء غيره بالشفقة والعطف والحنان. وقد جاء في الحديث: «والتلطف بالصبيان من عادة الرسول»[2].

[الطفل بين الوراثة والتربية: ج٢، ص٨٨-٩٠]

(١) المحجَّة البيضاء في إحياء الإحياء للفيض الكاشاني: ج٣، ص٣٦٦.

(٢) المصدر السابق.

فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الشيخ جعفر كاشف الغطاء

أوَّلها: الاخبار بالمغيبات.

وهو القائل: **سَلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلُّ بآية وتهتدي بآية إلَّا نبَّأتكم بناعقها وسائقها وقائدها إلى يوم القيامة.**

فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم على رأسي من طاقة شعر؟

فقال له: **لولا أنَّ الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك، وأنَّ في بيتك سخلًا يقتل ابن بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله. وكان ابنه صغيرا وهو الَّذي قتل الحسين عليه السلام.

وأخبر بقتل ذي الثَّدية من الخوارج وبعدم عبورهم النَّهروان، لما أُخْبَرَ بالعبور، وعن قاتل نفسه، وتقطيع يدي جويرية وصلبه، فوقع في ايَّام معاوية؛ و بصلب ميثم التَّمار، وأراه النَّخلة الَّتي يصلب عليها، فكان ذلك من عبيد الله بن زياد لعنهما الله، وتقطيع يدي رُشَيد الهَجَري ورجليه، فصنع به ذلك، وبقتل قنبر، فقتله الحجَّاج وبأفعال الَّتي صدرت منه، وأخبروه بموت خالد بن عرفطة فقال عليه السلام: **لم يمت وسيقود جيش ضلالة، وصاحب لوائه حبيب بن جمَّاز،** فقام إليه حبيب بن جمَّاز وقال: إنَّي لك محبٌّ! فقال: **إيَّاك أن تحمل اللِّواء**

ولتحملنَّها من هذا الباب -يعني باب الفيل-، فلمَّا كان زمان الحسين عليه السلام جعل ابن زياد خالدًا على مقدَّمة عمر بن سعد، وحبيب صاحب لوائه؛ وقال للبراء بن عازب: يقتل ولدي الحسين عليه السلام وأنت حيٌّ لا تنصره، فكان ذلك؛ ولمَّا اجتاز بكربلاء في وقعة صفِّين قال: هذا واللَّهِ مناخ ركابهم و موضع قتلهم؛ وأخبر بعمارة بغداد وملك بني العبَّاس وأخذ هولاكو دولتهم، وكان ذلك السَّبب في سلامة الحلَّة والنَّجف وكربلاء منه؛ لأنَّ والد العلَّامة وابن طاوس وابن أبي الفراء أخذوا منه الأمان قبل الفتح، وذهب إليه والد العلَّامة لطلب الأمان فقال له: كيف تأخذ الأمان قبل الفتح؟ فقال: علمنا أنَّ الفتح لك بإخبار أمير المؤمنين؛ وكفى بالملاحم المنسوبة إليه كخطبة البصرة ونحوها، إلى غير ذلك.

ثانيها: استجابة الدُّعاء.

فإنّه دعا على أنس بن مالك بالبرص حين جحد الشَّهادة على خبر الغدير، فأصابه البرص، ودعا على المغيرة بالعمى، لنقل أخباره إلى معاوية فعمي؛ ودعا بردِّ الشمس، فردَّت مرَّتين، وروى ستُّون مرَّة، ودعا على الماء لمَّا خاف اهل الكوفة الغرق، فجفّ الماء حتَّى ظهرت الحيتان وكلَّمته إلَّا الجرِّي والمارماهي والزَّمار، فتعجّب النَّاس.

ثالثها: شرف النسب، وهو غنيٌّ عن البيان.

رابعها: فضيلة المصاهرة.

وهو الَّذي اختصَّ ببنت رسول الله بعد أن خطبها الشيخان وردَّهما النبيُّ صلى الله عليه وآله، كما نقله الجمهور وخُصَّ بالحسنين عليهما السلام وجعلت منه العترة الطَّاهرة.

خامسها: جامعيَّة العلوم بأقسامها.

وساير العلماء راجعون إليه ومستمسكون به ومعتمدون عليه: أمَّا الشيعة، فرجوعهم إليه واضح.

وأمَّا المعتزلة، فأوَّلهم أبو هاشم وهو تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام.

وأمَّا الأشاعرة، فينتهون إلى أبي الحسن الأشعري، وهو تلميذ الجُبائيِّ

أبي علي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة. هذا حال المتكلِّمين.

وأمَّا الفقهاء الأربعة، فالحنفيَّة إلى الحنفيِّ وهو تلميذ الصَّادق عليه السلام والصادق عليه السلام ينتهي إليه. والشافعية إلى الشافعي وهو تلميذ محمد بن الحسن، ومحمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة.

وأمَّا الحنابلة فإلى أحمد بن حنبل وهو تلميذ الشافعي. وأمَّا المالكيَّة فإلى مالك وهو تلميذ ربيعة، وربيعة تلميذ عكرمة، وعكرمة تلميذ ابن عبَّاس، وابن عبَّاس تلميذ عليٍّ عليه السلام.

وأمَّا المفسِّرون، فمرجعهم إمَّا إليه أو إلى تلميذه ابن عبَّاس.

وأمَّا أهل الطَّريقة، فإليه ينتهون كما صرَّح به الشِّبلي والجُنيد والسّرمي وأبو زيد البسطامي ومعروف الكرخي وغيرهم.

وأمَّا علماء العربيَّة، فإليه يرجعون؛ لانَّه المؤسِّس لعلم العربية حيث أملى على أبي الأسود الدُّؤلي جوامعه من جملتها الكلام كلُّه ثلاث أشياء: اسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى رفع ونصب وجرٍّ وجزم.

وأمَّا الشجاعة: فإنَّهُ عليه السلام أنسى ذكر من كان قبله ومحيي اسم من يأتي بعده.

[العقائد الجعفرية]

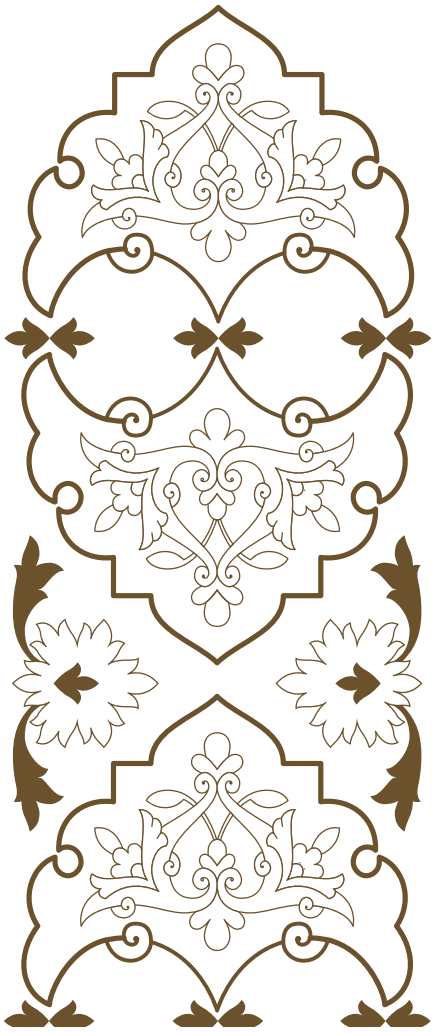

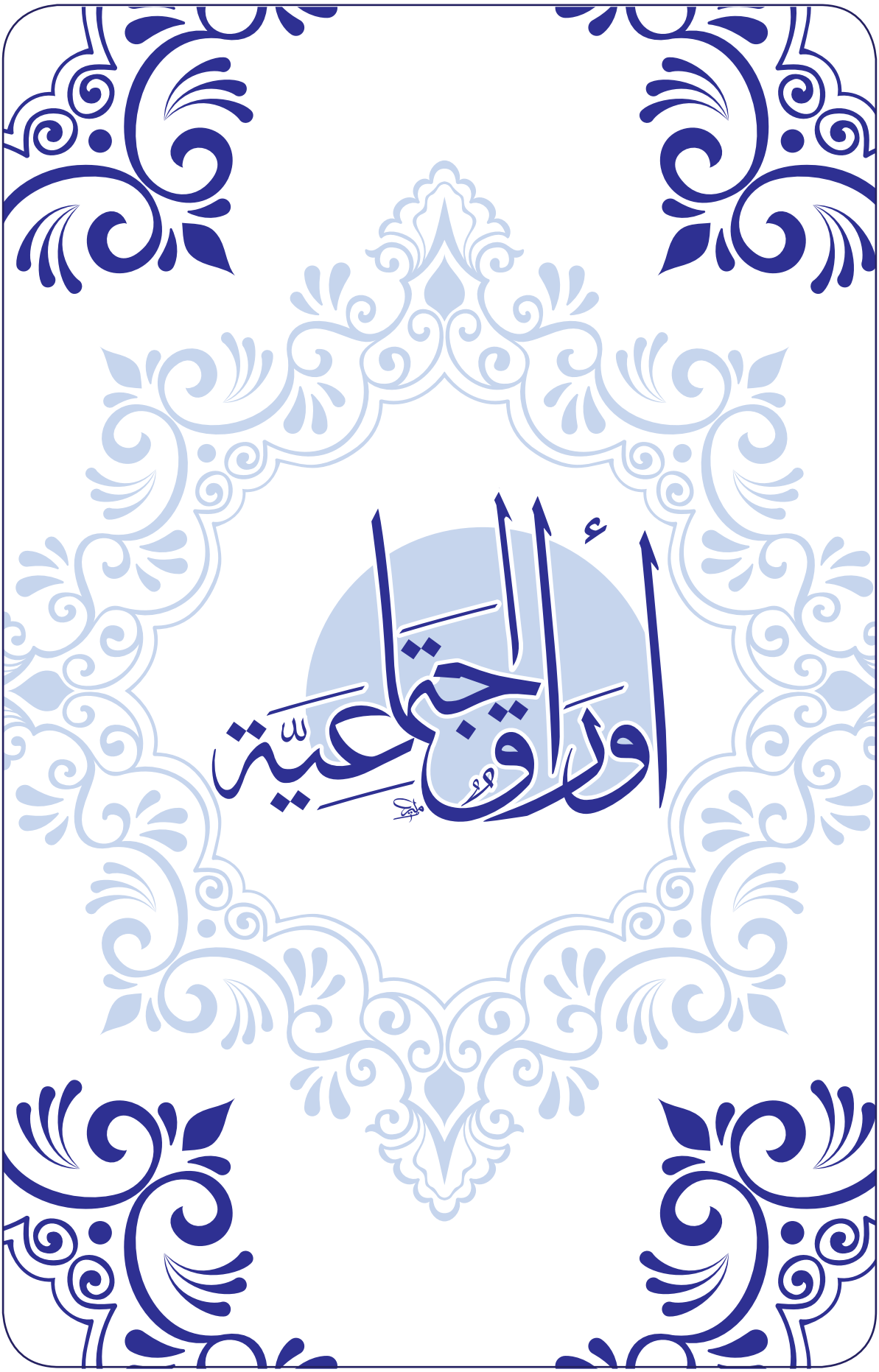
أوراد جماعية

عذاب الفاسق

المحقِّق الحليُّ

[الكلام] في عقاب الفاسق وما يطلق عليه من الأسماء: وفيه مقامان:

الأوَّل: النظر في عقابه هل هو دائم أو منقطع؟ والثاني: هل يقع العفو عنه أو لا؟

أمَّا المقام الأوَّل: فقد اختَلَف الناس فيه على قولين: منهم من زعم أنَّهُ دائم واحتج لذلك بوجهين:

أحدهما: لو خرج من النار لكان إما أن يدخل الجنة أو لا يدخلها، والقسمان باطلان، أمَّا الملازمة فظاهرة، وأمَّا بطلان القسمين، أمَّا الثاني فبالإجماع. وأمَّا الأوَّل فلأنَّهُ لو دخلها لدخلها إما تفضلًا وهو باطل بالإجماع، أو بالاستحقاق وهو باطل بما ثبت من وجوب القول بالإحباط.

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾[2].

ومنهم من زعم أنَّ عقابه منقطع. واحتج لذلك بوجوه:

الأوَّل: أنَّ الطاعات يُستحق بها الثواب وهو دائم إجماعًا، والمعصية يستحق

(١) سورة النساء: آية ١٤.

(٢) سورة النساء: آية ٩٣.

بها العقاب، أمَّا استحقاق الثواب بالطاعات فلقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[1]، و﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2]، ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[3]، و﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[4]، و﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾[5]، فلو كان العقاب دائمًا لاجتمع للمكلَّف الواحد استحقاقان دائمان، وهو باطل، أمَّا أولًا فبالإجماع، وأما ثانياً فلأنَّهُ كان يلزم استحالة إيصالهما إليه.

الوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[6]، [الوجه] الثالث: قوله عليه السلام: «يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمما وفحما»[7] وعند تعارض هذه الحجج فزع كلُّ واحد من الفريقين إلى تأويل حجج الآخر، ذهولًا منهم عن أنَّ ما يورده على خصمه وارد عليه بعينه أو مثله، فإذن الحق أنَّ الآيات المذكورة في غاية التعارض، لكن مع تعارضها يكون الترجيح لجانب من يقول بانقطاع عقابه؛ لأنَّهُ مصيَّر إلى الأصل، وأنسب بالعدل.[8]

المقام الثاني: في جواز العفو عن الفاسق:

ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[9].

وقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

(١) سورة الزلزلة: آية ٧.
(٢) سورة الأنعام: آية ١٦٠.
(٣) سورة الفرقان: آية ١٩.
(٤) سورة النساء: ١٢٣.
(٥) سورة الأنعام: آية ١٦٠.
(٦) سورة هود: آية ١٠٦، ١٠٧.
(٧) في اللوامع للمقداد السيوري ص ٣٩٦: ورد متواترًا عنه صلى الله عليه وآله أنَّهُ قال: «يخرج قوم من النار كالحم والفحم فيراهم أهل الجنة فيقولون: هؤلاء جهنميون، فيؤمر بهم فيغمسون في عين الحيوان، فيخرج أحدهم كالبدر».
(٨) قال العلَّامة الحليُّ رحمه الله: في أنوار الملكوت ص ١٧٥ في وجه الجمع بين الآيات: يحمل الآية الأولى على من تعدى جميع الحدود التي من جملتها الإيمان، والثانية على من يقتل مؤمنا لأجل إيمانه.
(٩) سورة النساء: آية ٤٨.

جَمِيعًا﴾[1]، ولا يمكن حمل ذلك على التائب، ولا على صاحب الصغيرة؛ لأنه ليس مع ذلك قنوط، ولا فيه تمنن عندهم، والآيات خرجت مخرج التمنن والدلالة على حلم الله وكرمه. ولا يمكن حمل الغفران على تأخير العقاب؛ لأنه خلاف الظاهر، ولا دلالة عليه. ويدلُّ عليه أيضا قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[2] فأخبر أنَّ العفو يقع مع كونهم ظالمين.

واحتج المانع بقوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[5].

والجواب عن ذلك: أنَّهُ لما تعارضت الآيات كان الترجيح لجانب القول الأوَّل بوجوه:

(١) سورة الزمر: آية ٥٣.
(٢) سورة الرعد: آية ٦.
(٣) سورة النساء: آية ١٢٣.
(٤) سورة الزلزلة: آية ٨.
(٥) سورة النساء: آية ١٠.

الأوَّل: أنَّ الآية الأولى مفصلة ودالَّة على العفو عمَّن يشاء، أو العفو عن عقاب الكبيرة على الخصوص، والآيات الأخيرة مطلقة فتحمل على الكافر، أو على من لم يشأ الله العفو عنه، لما عرفت من وجوب تقديم العام على الخاص.

الثاني: أنَّهُ قد ثبت في العقول أنَّ العفو عن العقاب حسن، وعلى تقدير تعارض الآيات يكون السمع خاليًا من دلالة قطعية بارتفاع ما شهد العقل بحسنه، فيكون التجويز فيه ثابتًا.

الوجه الثالث: أنَّهُ تعالى تمدح بالعفو والغفران في آيات متعددة، ولا ينصرف ذلك إلى التائب، ولا إلى صاحب الصغيرة؛ لأنَّ العقاب يسقط بالتوبة، وبرجحان الثواب على العقاب سقوطًا لازمًا عندهم، فلم يكن سقوطه مستندًا إلى الله. والغفران لا يتحقق إلَّا بإسقاط الذنب، لو لم يكن الله مسقطًا للعقاب ابتداء لما صح التمدح به.

الوجه الرابع: أجمع المسلمون

على جواز أن يقول الإنسان لغيره: غفر الله لك، وعنى سؤال الغفران، ولا يتحقق ذلك إلَّا مع إمكان وقوعه، ولا عقاب إلَّا على صاحب الكبيرة، إذ التائب وصاحب الصغيرة لا عقاب عليه.

لا يقال: لعلَّ سؤال الغفران سؤال التوفيق للتوبة أو لتوفيق العمل الصالح الراجح على المعصية، لأنا نقول: سؤال الغفران يقع مجرداً عن ذلك كله، فسقط الاعتراض به.

وأما الأسماء: فاتفقوا على إطلاق اسم الفسق على صاحب الكبيرة، واختلفوا في إطلاق لفظة الإيمان عليه أو لفظة الكفر. فقالت الخوارج: يطلق عليه اسم الكفر، وقال البصري: يطلق عليه اسم النفاق، والكل باطل بما سندل عليه من كونه مؤمنًا، والإيمان لا يجامع الكفر والنفاق. وبيان أنَّهُ يطلق عليه اسم الإيمان: أن الإيمان في أصل اللغة عبارة عن التصديق[1]، فيجب أن يكون في الشرع كذلك؛ لأن الأصل عدم النقل.

ولأن الله سبحانه استعمل الإيمان في التصديق فيجب أن يكون حقيقة فيه دفعاً للمجاز. بيان استعماله في التصديق قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾[3]، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾[4]، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

وإذا ثبت أن الإيمان عبارة عن التصديق، والمؤمن فاعل للإيمان، والفاسق مصدق، فيجب أن يكون مؤمنًا. وزعمت المعتزلة وطائفة منَّا أنَّ الإيمان عبارة عن التكاليف الواجبة، فعلًا كان أو تركاً، وشذَّاذ منهم أدخلوا النوافل في جملة الإيمان. واحتجُّوا لذلك بوجوه: منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[6] وقوله عليه السلام: «لا يزني الزاني وهو مؤمن» وبقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

(١) في صحاح الجوهري: الإيمان: التصديق.

(٢) سورة المؤمنون: آية ٣٨.
(٣) سورة العنكبوت: آية ٢٦.
(٤) سورة آل عمران: آية ٥٣.
(٥) سورة الأعراف: آية ١٢١.
(٦) سورة يوسف: آية ١٠٦.

﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[١]، قالوا: (وذلك) إشارة إلى ما تقدَّم من العبادات.

والكلُّ ضعيف.[٢]

يدلُّ على ما ذهبنا إليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[٤] فعطف الأعمال على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة. واحتج البصري على أنَّ صاحب الكبيرة منافق، بأنه لو كان معتقدًا للمعاد لما أقدم على فعل المعصية؛ لأنَّ الإنسان لا يتناول تمرة من جحر حية، وهو يتيقَّن أنَّها تناله بسوء فكيف إذا تيقَّن أنَّها تقتله، وكذلك لو تيقن العاصي العذاب، لما أقدم على المعصية، وهو ضعيف؛ لأنَّ الإقدام على ذلك قد يكون لرجاء العفو، أو تأميل التوبة، أو لرجاء رجحان الطاعة على المعصية على رأي المعتزلة في الإحباط، وكلُّ ذلك قد يجامع الجزم بالعقاب الأخروي[٥].

[المسلك إلى أصول الدين]

(١) سورة البينة: آية ٥.

(٢) الظاهر من اصطلاح المصنِّفﷺ إطلاق الضعيف على الباطل فلا تغفل.

(٣) سورة طه: آية ١١٢.

(٤) سورة مريم: آية ٦٠.

(٥) الكفر هو إنكار صدق الرسولﷺ وإنكار شيء مما علم مجيئه به بالضرورة. والنفاق، هو إظهار الإيمان والإسلام، وإسرار الكفر. وأمَّا الفسق، فهو الخروج عن طاعة الله ورسوله في بعض الأوامر والنواهي الشرعية التي يجب امتثالها مع اعتقاد ذلك الوجوب، وهو عند المعتزلة منزلة بين الكفر والإيمان، ولا يصدق عندهم على الفاسق أنَّهُ مؤمن ولا كافر، وعند الحسن البصري أنَّهُ منافق، وعند جماعة من الزيدية والخوارج أنَّهُ كافر، وعندنا أنَّهُ مؤمن بإيمانه وفاسق بفسقه قلنا: إن الفاسق من أهل الصلاة مصدق بالله ورسوله ودينه، فكان مؤمنًا. وأمَّا المعتزلة فلمَّا أدخلوا سائر الطاعات في مسمَّى الإيمان، لزم على أصولهم أن يخرج الفاسق عن الإيمان لتركه بعضها، وأمَّا أنَّهُ لا يدخل في الكفر، فلأنَّهُ يقام عليه الحدود. ويقاد به، ويدفن مع المسلمين، ويغسل ويكفن ويصلَّى عليه، ولا واحد من الكفار كذلك، فإذن ليس هو بكافر. والله أعلم بالصواب. قواعد المرام: ص ١٧١.

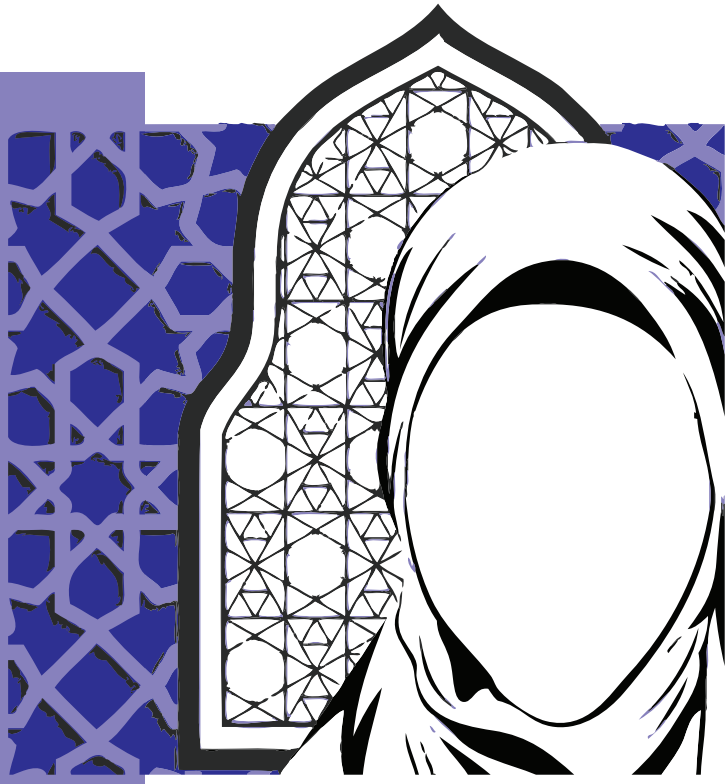

عناية الإسلام بالمرأة وحفظ حقِّ الزوجة

السيد محسن الأمين

اعتنى الشرع الإسلامي بالمرأة عناية كبيرة حتى نزلت في القرآن الكريم سورة أكثرها في الوصاية بالنساء والعناية بأمورهنَّ فسمِّيت سورة النساء ومنع وأد البنات الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية وساوى بين المرأة والرجل في الحقوق عدا الميراث والشهادة والديَّة فهي في ذلك على النصف من الرجل ولكنَّه ميَّزها على الرجل بأن جعل لها عليه المهر ولا مهر له عليها وجعل نفقتها لازمة عليه من ماله ولو كانت غنيَّة ولا نفقة له عليها وأوجب عليه القيام بكلِّ ما تحتاج إليه من إسكان وإخدام وكسوة وطعام وغيرها جعل نفقتها مقدمة على نفقة أبويه العظيم حقهما عليه وعلى نفقة أولاده وأجداده فينفق على نفسه فإنْ زاد عنه أنفق على زوجته فإن زاد أنفق على أبويه وسائر أقاربه وجعل نفقتها حقًّا واجبًا كالدَّين فإنْ لم يؤدِّه في وقته وجب قضاؤه مع اليسار، أمَّا نفقة أقاربه فلا قضاء لها؛ لأنَّها إسعاف ومواساة وليست كالدَّين وحيث أوجب عليه المهر والنفقة لها فلا جرم أن فضَّله عليها في الميراث وكانت شهادة امرأتين كشهادة رجل لما فيها من الضعف الظاهر عن الرجل الذي لا ينكره إلَّا مكابر وشدَّة العاطفة فلا جرم أن وضع عنها الجهاد إلَّا باسعاف الجرحى بسقي الماء وشبه ذلك، وجعل ديَّتها نصف ديَّة

الرجل، لأنَّها لا تغني غناءه ولا تسدُّ مسدَّه في كثير من المقامات المحافظة على حقوق الزوجة وأبطل العادات الجائرة التي سنَّتها الجاهلية في حقِّ النساء فكان الرجل إذا زَوَّج أيمة أخذ صداقها دونها والأعراب ومن ضارعهم يفعلون ذلك إلى اليوم وكان الرجل يزوِّج آخر أخته ويأخذ أخت الرجل بدون مهر وهو نكاح الشغار أو بمهر قليل فنهى الله تعالى عن ذلك وحرم أخذ شيء من المهر إلَّا عن طيب نفس بقوله: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾[1] أيْ: مهورهن تحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[2].

وكانوا لا يورثون المرأة فأنزل الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾[3]. وكان الرجل إذا مات كان أولياؤه أحقَّ بامرأته من أهلها إن شاء بعضهم تزوَّجها وان شاؤوا زوَّجوها وإن شاؤوا لم يزوِّجوها وكان الرجل أما مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فإن كانت جميلة تزوَّجها وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾، وكان الرجل منهم تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضربها لتفتدي، فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾[4]. وهي النشوز فإذا نشزت حلَّ له أن يأخذ منها الفداء ليطلقها، وأكَّد النبيُّ صلى الله عليه وآله الوصاية بالمرأة في مواضع كثيرة ليس هذا محلَّ بيانها، وأوجب معاشرتها

(١) سورة النساء: آية ٤.
(٢) سورة النساء: آية ٢٠، ٢١.
(٣) سورة النساء: آية ٧.
(٤) سورة النساء: آية ١٩.

بالمعروف: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وفي قانون التزيج والمضاجعة والمواقعة والقسم بين الزوجات وغير ذلك في الشرع الإسلامي ما يدل على المحافظة الشديدة على حقوق المرأة، ومحلُّ ذلك كتب الفقه ولم يحجر الدين الإسلامي على المرأة زيارة أهلها وأقاربها وصديقاتها والسفر للحج والزيارة وغيرهما وترويح النفس والإقبال على ما يورث السرور والغناء في الأعراس واستماعه مع عدم سماع الأجنبي، كلُّ ذلك مع مراعاة الحشمة والآداب والبعد عمَّا يوجب الظِّنة والارتياب وعدم الاختلاط بالأجانب ومجانبة ما يوقع في الفساد، فالإسلام قد أكرم المرأة كرامة ليس عليها من مزيد وصانها الصيانة التي تليق بكرامتها.

تعدد الزوجات

وأباح الشرع الإسلامي تعدد الزوجات: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أي في الحقوقِ فواحدةً. واكد الوصاية بالعدل بين الزوجات فقال: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ أي: في الميل القلبي ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾، فبين أنَّ العدل التام بينهن حتى في الميل القلبي غير مستطاع فإن لم يكن عدل تام فلا يكن جور تام. فالعدل في: فَإِنْ خِفْتُمْ، غير العدل في: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا. وفي إباحة تعدد الزوجات من الحكم والمصالح وما ينكره إلَّا مكابر ليس هذا موضع بيانه.

التحكيم

ومن عناية الشرع الإسلامي بالمرأة ومحافظته على حفظ نظام العائلة أن سنَّ التحكيم عند وقوع الاختلاف بين الزوجين الذي قد يؤدي إلى الشقاق ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾. كل ذلك يدلُّ على العناية بأمر الزوجة والمحافظة على حقوقها عناية ومحافظة لا مزيد عليها.

[أعيان الشيعة: ج١، ص٣٢٩-٣٣٠]

حقوق المجتمع الإسلامي

السيد مهدي الصدر

للفرد قيمتهُ ومنزلته في المجتمع، بصفته لبنةً في كيانه، وغصناً مِن أغصان دَوحته، وبمقدار ما يَسعَد الفرد، وينال حقوقه الاجتماعية يَسعَد المجتمع، وتشيع فيه دواعي الطمأنينة والرخاء وبشقائه وحِرمانه يشقَى المجتمع وتسوده عوامل البَلبَلَة والتخلُّف.

لذلك كان حتماً مقضيًّا على المجتمع رعاية مصالح الفرد، وصيانة كرامته، ومنحه الحقوق الاجتماعيَّة المشروعة، ليستشعر العزَّة والسكينة والرخاء، في إطار أُسرته الاجتماعيَّة، وإليك أهمُّ تلك الحقوق:

١ - حقُّ الحياة:

وهو حقٌّ طبيعيٌّ مقدَّس يجب رعايته وصيانته، ويَعتبر الإسلامُ هدرَه والاعتداء عليه جنايةً نَكراء، وجُرماً عظيماً يتوعَّد عليه النار: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1].

ولم يكتفِ الإسلام بإنذار السفَّاكين، ووعيدهم بالعقاب الأُخروي، فقد شرّع القِصاص مِن القاتل عمداً، والديَّة عليه خطأً، حمايةً لـدِمـاء المسلمين، وحسماً لإحداث القتل وجرائمه: ﴿وَلَكُمْ فِي

(١) سورة النساء: آية ٩٣.

الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وليس للإنسان أنْ يُفرِّط في حياته ويزهقها بالانتحار، وإنَّما يجب عليه حفظها وصيانتها مِن الأضرار والمهالك: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وقد بالغ الإسلام في قُدسيَّة الأرواح وحمايتها، حتَّى حرَّم قتل الجنين وإجهاضه تخلُّصاً منه وفرَض الديَّة على قاتله.

٢ - حقُّ الكرامة:

لقد شرَّف الله المؤمن وحَباه بصنوفِ التوقير والإعزاز، وألوان الدعمِ والتأييد. فحفَظ كرامته وصَان عِرضه، وحرَّم ماله ودمه، وضمِن حقوقه، ووالى عليه ألطافه، حتَّى أعلن في كتابه الكريم عنايته بالمؤمن ورعايته له في الحياة العاجلة والآجلة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[3]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[5].

وحرَّم الإسلام بعد هذا كلّ ما يبعث على استهانة المؤمن، وخدْشِ كرامته وتلويث سُمعته باغتيابه والتجسّس عليه، والسخريةِ منه؛ ليُطهّر المجتمع الإسلامي مِن عوامل التباغض والفُرقة، وليُشِع في رُبوعه مفاهيم العزَّة والكرامة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

(١) سورة البقرة: آية ١٧٩.
(٢) سورة البقرة: آية ١٩٥.
(٣) سورة فصلت: آية ٣٠، ٣١.
(٤) سورة يونس: آية ٦٣، ٦٤.
(٥) سورة غافر: آية ٥١.

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

وهكذا حرص الإسلام على إعزاز المؤمن وحماية شرفه وكرامته حتَّى بعد وفاته، فجعَل حُرمته ميّتاً كحرمتهِ حيًّا، وفرَض على المسلمين تجهيزه بعد الممات وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، وحرَّم كلَّ ما يثلب كرامته كالمُثلة به ونبشِ قبره، واستغابته والطعن فيه.

وقد جهد الإسلام في حماية المسلمين، وضمان كرامتهم فرداً ومجتمعاً، ماديًّا وأدبيًّا:

فشرَّع الحدود والديَّات صيانةً لأرواحهم وأموالهم وحرماتهم، وردعاً للمجرمين العابثين بأمنِ المجتمع ومقدَّراته.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

وبالَغ الإسلام في عقوبة الزاني لاستهتاره بقُدسيَّة أعراض الناس، وانتهاكه صميم كرامتهم وشرفهم.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[5].

وقرَّر الحدَّ الصارم على السارق حسماً لإجرامه وحِرصاً على أمن المسلمين واطمئنانهم.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا

(١) سورة الحجرات: آية ١٢.
(٢) سورة الحجرات: آية ١١.
(٣) سورة البقرة: آية ١٧٩.
(٤) سورة المائدة: آية ٣٣.
(٥) سورة النور: آية ٢.

أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وهكذا أعلن أهل البيت عليهم السلام شرف المؤمن وعزَّته، وأحاطوه بهالة مِن التوقير والإجلال وألوان الحصانة والصيانة:

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: سُباب المؤمن فسوق، وقتالُه كُفر، وأكلُ لحمه مَعصية، وحُرمة مالهِ كحُرمة دمِه»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال اللَّه عز وجل: مَن أهان لي وليًّا، فقد أرصد لمُحاربتي. وما تقرَّب إليَّ عبدٌ بشيءٍ أحبُّ إليَّ ممَّا افترضت عليه، وإنَّه ليتقرَّب إليَّ بالنافلة حتَّى أحبَهُ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمَع به وبصرَهُ الذي يُبصرُ به، ولِسانه الذي ينطق به، ويدَهُ التي يَبطش بها، إنْ دعاني أجبته، وإنْ سألني أعطَيته، وما ترددَّتُ عن شيءٍ أنا فاعله كترددِّي عن موت عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»[3].

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر مَن أسلَم بلسانه ولم يخلُص الإيمان إلى قلبه، لا تذمُّوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنّه مَن يتَّبع عوراتهم يتَّبع اللَّه عورته، ومَن يتَّبع الله عورته يفضَحه ولو في بيته»[4].

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: مَن أذاع فاحشةً كان كمبتدئها ومَن عيَّر مؤمناً بشيءٍ، لم يمُت حتَّى يركبه»[5].

٣ - حقُّ الحريَّة:

والحريَّة هي: انعتاق الإنسان وتحرُّره مِن أسرِ الرقِّ والطغيان، وتمتّعه بحقوقه المشروعة. وهي مِن أقدَس الحقوق وأجلّها خطراً، وأبلغِها أثَراً في حياة الناس.

لذلك أقرَّ الإسلام هذا الحقَّ وحرَص على حمايته وسيادته في المجتمع الإسلامي.

(١) سورة المائدة: آية ٣٨.
(٢) سفينة البحار: ج١، ص ٤١.
(٣) سفينة البحار: ج ١، ص ٤١.
(٤) بحار الأنوار (كتاب العشرة): ص ١٧٧.
(٥) الوافي: ج ٣، ص ١٦٣.

وليست الحريَّة كما يفهمها الأغرار: هي التحلُّل مَن جميع النظم والضوابط الكفيلة بتنظيم المجتمع، وإصلاحه وصيانة حقوقه وحُرُماته، فتلك هي حريَّة الغاب والوحوش الباعثة على فساده وتسيُّبه.

وإنَّما الحريَّة الحقَّة هي: التمتُّع بالحقوق المشروعة التي لا تناقض حقوق الآخرين ولا تجحف بهم.

وإليك طرفاً مِن الحريَّات:

أ - الحريَّة الدينيَّة:

فمِن حقِّ المسلم أنْ يكون حرًّا طليقاً في عقيدته وممارسة عباداته، وأحكام شريعته. فلا يجور قسره على نبذها أو مخالفة دستورها، ويُعتبر ذلك عدواناً صارخاً على أقدَس الحُرِّيات، وأجلّها خطراً في دنيا الإسلام والمسلمين. وعلى المسلم أنْ يكون صُلباً في عقيدته، صامداً إزاء حملات التضليل التي يشنُّها أعداء الإسلام، لإغواء المسلمين وإضعاف طاقاتهم ومعنويّاتهم.

ب - الحريَّة المدنيَّة:

ومِن حقّ المسلم الرشيد أنْ يكون حرًّا في تصرُّفاته، وممارسة شؤونه المدنيَّة، فيستوطن ما أحبَّ مِن البلدان، ويختار ما شاء من الحرف والمكاسب ويتخصَّص فيما يهوى مِن العلوم وينشئ ما أراد مِن العقود، كالبيع والشراء والإجارة والرهن ونحوها. وهو حرٌّ في مزاولة ذلك على ضوء الشريعة الإسلاميَّة.

ج - حريَّة الدعوة الإسلاميَّة:

وهذه الحُريَّة تخصُّ الأكفياء مِن المسلمين القادرين على نشر التوعية الإسلاميَّة، وإرشاد المسلمين وتوجيههم وجهة الخير والصلاح. وذلك ما يبعث على تصعيد المجتمع الإسلامي ورُقيِّه دينيًّا وثقافيًّا واجتماعيًّا، ويعمل على وقايته وتطهيره مِن شرور الرذائل والمنكرات.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يزال الناسُ بخيرٍ ما أمروا بالمعروف، ونهَوا عن المُنكر، وتعاونوا على البرِّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزِعَت منهم البرَكات، وسُلِّط بعضُهم على بعض، ولم يكُن لهم ناصرٌ في الأرض ولا في السماء**»[1].

٤ - حقُّ المساواة:

كانت الأُمَم العالميَّة تعيش حياة مُزرية، تسودُها الأُثرة والأنانيَّة، وتُفرِّقها نوازع الامتيازات الطبقيَّة. فكان التفاوت الطبَقي مِن أبرَز مظاهر العرَب الجاهليِّين، إذ كانوا يضطهدون الضُّعفاء ويستعبدونهم كالأرقَّاء، ولا يؤاخذون الأشراف على جنايةٍ أو جُرمٍ تمييزاً لهم عن سوَقَة الناس.

وحسبُك ما كان عليه مُلوك العرَب يومذاك مِن الأنانيَّة واستذلال الناس. (فكان عَمْر بن هِند ملِكاً عربيًّا: وقد عوَّد الناس أنْ يُكلّمهم مِن وراء حِجاب، وقد استكثر على سادة القبائل أنْ تأنَف أُمَّهاتهم مِن خدمته في داره.

(١) الوافي: ج٩، ص ٢٩، عن التهذيب.

وكان النُّعمان بن المُنذر قد بلَغ به العسف أنْ يتَّخذ لنفسه يوماً للرضى، يغدِق فيه النِّعم على كلِّ قادِمٍ إليه خبط عشواء، ويوماً للغضَب يقتل فيه كلَّ طالع عليه مِن الصباح إلى المساء.

ومِن القصص المشهورة: قُصَّة (عمليق) ملِك طسم وجديس، كان يستبيح كلّ عروسٍ قبل أنْ تُزَفَّ إلى عروسها)[2].

وهكذا كانت الأُمم الغربيَّة في تمايزها الطبَقي حتَّى قيام الثورة الفرنسيَّة التي طفقت تنادي بالمساواة، وتحفّز عليها ممَّا أيقَظ الغربيِّين وأثار فيهم شعور المساواة.

ولكنَّ رواسب الطبقة لا تزال عالِقة في نفوس الغربيِّين تُستشَفُّ مِن خلال أقوالهم وتصرُّفاتهم:

فالألمانيَّة النازيَّة: تُقدّس الجِنس الآري، وتفضِّله على سائر الأجناس البشريَّة.

والأُمَم الأمريكيَّة: لا يزال الصراع فيها قائماً بين البيض والسود

(٢) حقائق الإسلام للعقَّاد: ص ١٥٠.

مِن جرَّاء أنانيَّة البيض وترفُّعهم عن مخالطة السود، ومشاركتهم في المدارس والمطاعم وسائر مرافق الحياة.

وهكذا درَجَت بريطانيا على إشاعة التفاوت الطبَقي بين البيض والملوَّنين في جنوب إفريقيا حيثُ جعلَت البيض سادةً مدلَّلين، والسود أرقَّاء مُستعبَدين لهم.

وكذلك نجد التمايز والتفاوت واضحَين في ظِلال الحكم الشيوعي بين العامل ورئيسه، والجندي وقائده، والفنَّانين والكادحين، ولم يستطيع رغم تشدُّقه بالمساواة: محوَ الطبقيَّة بين أتباعه.

[أخلاق أهل البيت]

لغة الحب
وتأثيرها في شخصية الإنسان

السيد منير الخبّاز

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

حديثنا في عدَّة محاور: المحور الأوَّل: تحديد مفهوم الحب وأقسامه.

ما هو الحبُّ؟ الحبُّ هو النزوع نحو الشيء، أحببت فلاناً بمعنى أنَّ في قلبي نزوعاً وميولاً نحوه، فإذا كان في الحبِّ نزوع وميول تجاه شيء معين فهذا النزوع هو الحبُّ، وذلك الشيء هو المحبوب.

والحبُّ ينقسم إلى ثلاثة أقسام: حبٌّ ربَّاني، وحبٌّ إنساني، وحبٌّ شهواني. الحبُّ الرباني هو حبُّ الله، وهو ما يجده الإنسان في قلبه من نزوع وميول وتوجه نحو الباري تبارك وتعالى، والحبُّ الإنساني هو الذي يجده الإنسان تجاه أخيه الإنسان، لا بدافع مصلحي، ولا بدافع براجماتي، والحبُّ الشهواني هو الذي ينطلق بدافع تحصيل إشباع شهوة معينة، أو إشباع رغبة ملحة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأقسام الثلاثة، حيث أشار إلى الحبِّ الرباني بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ

(١) سورة آل عمران: آية ٣١.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾[1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2].

وأشار إلى الحبِّ الإنساني، وهو الذي يكون ميلًا طبيعيًّا بين بني البشر، عندما يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[3]، إنَّما أتعرف عليك؛ لأنَّ عندي ميولًا نحوك، وإنَّما تتعرف عليَّ؛ لأنَّ لديك ميولاً إنسانية نحوي، التعارف فرع المحبَّة الإنسانية المتبادلة.

وأشار إلى القسم الثالث بقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾[4]، ما تحبُّه لأجل شهوة، لأجل إشباع رغبة، فهذا حبٌّ شهواني، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[5].

عندما نبحث عن المنطلق لهذه الأقسام الثلاثة، ما هي فلسفة هذا التقسيم للحبِّ إلى هذه الأقسام الثلاثة؟ نحن عندما نرجع إلى القرآن الكريم، وندقق في تعبيرات القرآن الكريم، القرآن الكريم يعبِّر عن وجود الإنسان بأنَّهُ نفخة من روح الله عزَّ وجلَّ، يقول: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[6]، ويقول في آية أخرى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾[7]، وقال في آية ثالثة: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾[8]، فما معنى نفخ الروح؟ وما معنى أنَّ الإنسان نفخة من روح الله عزَّ وجلَّ؟ وما معنى هذا التعبير القرآني؟

الله تبارك وتعالى عندما أفاض وجود الإنسان، عندما برأ الإنسان، جعل وجود الإنسان ظلًا لوجوده، وجعل وجود الإنسان حاكيًا عن وجوده، جعل حياة الإنسان حاكية

(١) سورة البقرة: آية ١٦٥.
(٢) سورة المائدة: آية ٥٤.
(٣) سورة الحجرات: آية ١٣.
(٤) سورة آل عمران: آية ١٤.
(٥) سورة آل عمران: آية ١٤.
(٦) سورة الحجر: آية ٢٩.
(٧) سورة السجدة: آية ٩.
(٨) سورة التحريم: آية ١٢.

عن حياته، خلق الإنسان صورة معبِّرة عنه تبارك وتعالى، نفخت فيه من روحي، أي: جعلته صورة معبِّرة عنِّي، وجعلته مثالًا حاكيًا عن حياتي وعن صفاتي، فالإنسان نفخة من الله، نفخة من روح الله تبارك وتعالى.

لأجل ذلك، ولد الإنسان وهو يحبُّ بفطرته الكمال، لأنَّ مصدره هو الكامل؛ لأنَّ الذي صاغ هذا الإنسان وخلق هذا الإنسان هو الكمال المطلق جلَّ وعلا، لذلك جاء الإنسان إلى الوجود وهو يحمل بفطرته رغبة في الكمال، وحبًّا للكمال، حبُّ الإنسان إلى الله حب حقيقي خالص؛ لأنَّهُ حبٌّ للكمال المطلق، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[1]، لكن الذين آمنوا يعون هذا الأمر، أنَّ الحبَّ الحقيقي هو حبُّ الكمال، وحبُّ الكمال يعني حبَّ الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[2].

وأما إذا أحبَّ الإنسان الآخر؛ لأنَّهُ يشترك معه في الإنسانية، أو أحبَّ الإنسان شيئًا آخر لأجل إشباع شهوة أو غريزة، فهذا حبٌّ مجازي وليس حبًّا حقيقيًّا خالصًا، الحبُّ الحقيقي الخالص هو الحبُّ المعبر عن كون الإنسان نفخة من الله، وهو حبُّ الكمال، حبُّ الله تبارك وتعالى.

المحور الثاني: الحب مفتاح الأخلاق.

الحبُّ بذرة الأخلاق، فما معنى هذا الكلام؟ نحن عندما نرجع إلى علم الأخلاق، فلاسفة الأخلاق ماذا يقولون في تعريف الخلق؟ متى نعتبر الفعل خلقًا؟ مثلًا: الإنسان يأكل، الأكل فعل من أفعاله، لكن الأكل ليس خلقًا، والإنسان يمشي، المشي فعل، لكنه ليس خلقًا، في حين أنَّ الصدق خلق، والعدالة خلق، والأمانة خلق، فما هو الفرق بين الخلق وغيره؟ كلاهما فعل، المشي فعل لكننا لا نقول فالمشي خلق، في حين أننا نقول أنَّ الأمانة خلق، فما هو الميزان والمقياس الذي على أساسه نعدُّ بعض الأفعال أفعالًا طبيعية كالمشي والأكل، ونعدُّ بعض الأفعال خلقًا كالصدق

(١) سورة البقرة: آية ١٦٥.
(٢) سورة البقرة: آية ١٦٥.

والأمانة والعدالة؟ ما هو المقياس الذي يفرز لنا الأفعال، ويقسمها لنا، فيجعل بعضها فعلًا طبيعيًّا، ويجعل بعضها الآخر فعلًا خلقيًّا؟ ما هو المعيار في ذلك؟

هنا أتعرض باختصار للنظريات المذكورة في فلسفة الأخلاق في تحديد ما هو الخلق، عندنا نظرية لديكارت، وعندنا نظرية لكانت، وعندنا نظرية لسارتر، وكلُّ نظرية تحاول أن تفرز الخلق من غيره من الأفعال الطبيعية.

التعريف الأوَّل: تعريف ديكارت.

ديكارت يقول: الخلق ما كان تجاوزًا للأنا، الإنسان يعيش ميولين: أنا وغيري، هل يتجاوز «الأنا» ويتَّجه نحو «أنت»؟ الفعل الذي يصدر بدافع الأنا ليس خلقًا، حتى لو كان جميلًا في نظر الناس، فمثلًا: من يعطِ الفقراء بدافع أن تكون له سمعة حسنة، بدافع أن يكون له لقب حسن بين الناس، فإنَّ هذا الفعل ليس خلقًا؛ لأنَّ الفعل منطلقه الأنا، ومنطلقه النفس، ومنطلقه المصلحة الشخصية، هذا الإنسان الذي تصدر أفعاله عن دافع الأنا ما زال يعيش في إطار ذاته، ما زال متقوقعًا في ذاته، هذا الفعل ليس خلقًا.

الفعل الخلقي هو الذي يتجاوز الأنا وينطلق نحو الغير، أنا أقضي حاجتك لأنَّك أنت لا لأجلي أنا، عندما يصدر الفعل بدافع الغيرية، وبدافع الإيثار، وبدافع تقديم مصلحة الغير على مصلحة النفس، هنا يكون الفعل خلقًا، الميزان في الخلق عند ديكارت أن تتجاوز الأنا وتنطلق نحو الغير، وبعبارة أخرى: الخلق هو الإيثار، أن تؤثر غيرك على نفسك، كما في القرآن الكريم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]، ويقول القرآن الكريم في آية أخرى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[2].

هذا تعريف ديكارت للخلق، وهو ليس دقيقًا؛ لأنَّ هناك خلطًا بين الفعل الغريزي والفعل الخلقي،

(١) سورة الحشر: آية ٩.

(٢) سورة الإنسان: آية ٨.

فمثلًا: الأمُّ تضحي بنفسها من أجل وليدها، من أجل طفلها، وتسهر الليل وتُتعِب نفسها من أجل تربية ولدها، هل حنان الأم خلق أو هو فعل غريزي؟ هذا فعل غريزي، مع أنَّ الأمَّ تقوم بهذا الحنان لا لأجل نفسها بل لأجل طفلها، مع أنَّ الأمَّ تضحِّي بمصلحتها من أجل مصلحة طفلها، لكن هذا الحنان الذي تبذله الأمُّ ليس خلقًا، وإنَّما هو فعل غريزي صادر عن غريزة الأمومة، عن روح الأمومة، هذا الفعل ليس خلقًا مع أنَّه فيه تجاوز للأنا، فيه تقديم لمصلحة الغير على مصلحة النفس، فليس كلُّ فعل صادر بدافع مصلحة الغير خلقًا، بل قد يكون فعلًا غريزيًّا، كالأفعال الصادرة عن الأمِّ بدافع الأمومة.

التعريف الثاني: تعريف كانت.

كانت يقول: الخلق ما كان صادرًا بدافع الإحساس بالمسؤولية، ويمكن شرح هذا المعنى من منطلق قرآني، وذلك بالرجوع إلى قوله ﷻ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1]، هذه الآية تشير إلى أنَّ هناك محكمتين تحاصر الإنسان: محكمة داخلية، ومحكمة خارجية، المحكمة الداخلية هي النفس اللوامة، والمحكمة الخارجية هي الوقوف أمام الله يوم القيامة، والمقصود بالنفس اللوامة الضمير، فهوة تارة يشجعك وتارة يوبخك ، مثلاً الإساءة للطفل البريء أمر يشجبه الضمير، والإحسان لليتيم أمر يشجع عليه الضمير، الضمير هو النفس اللوامة التي عبَّر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2]، النفس بطبيعتها توبِّخك على بعض الأشياء وتشجِّعك على بعض الأشياء الأخرى، فهي بطبيعتها تمدحك وتذمك، تنفر من أشياء، وتبتهج بأشياء أخرى.

ومن هنا ينطلق كانت من تحديده الخلق، فيقول: الخلق هو الذي إذا عرضته على ضميرك يؤنبك على

(١) سورة القيامة: آية ١، ٢.

(٢) سورة الشمس: آية ٧، ٨.

تركه، يقول لك: لا تتركه، حاول أن تفعله، الخلق هو العمل الذي يصدر عنك بدافع المسؤولية، وهو العمل الذي يصدر عنك لا لأجل مصلحة، بل لأنَّ ضميرك يدفعك نحو هذا العمل، هذا هو الخلق، لماذا أكون محسنًا لليتيم؟ لماذا أكون متعاونًا مع الفقير؟ لأنَّ ضميري يفرض عليَّ ذلك؛ لأنِّي لو لم أحسن إلى اليتيم لأنبني ضميري، فالخلق هو العمل الذي يؤنبك الضمير على تركه، وهو العمل الذي تؤنِّبك النفس اللوامة على تركه، وهو العمل الذي يخضع للمحكمة الداخلية قبل خضوعه للمحكمة الخارجية.

إذن، التعريف الثاني للخلق أنَّ الخلق ما كان منبعثًا من دافع الإحساس بالمسؤولية، وهذا التعريف أيضًا تعريف غير دقيق للخلق؛ لأنَّ هناك قسمًا من الأخلاق لا يلزمك الضمير بعمله، فمثلًا: الإحسان، افترض أنَّك التقيت بشخص لا تربطك به أية علاقة، لا من دِين، ولا من نسب، ولا من لغة، ولا من بلد، ولا من أيِّ شيء، وأنت ترددت هل تحسن إليه، هل تقدم إليه هدية من دون مقابل من دون طلب منه أو لا؟ هذا العمل لو تركته لا يؤنبك الضمير على تركه، لكنك لو عملته لكان خلقًا.

إذن، ليس كلُّ خلق هو ما يؤنبك الضمير على تركه، هناك قسم من الأفعال الخلقية تصدر عنك وإن لم تكن هناك مسؤولية، وإن لم يكن هناك إلزام من الضمير، قد تلتقي بإنسان لا تربطك به أيَّة صلة لا دينية ولا لغوية ولا قومية، ومع ذلك أنت بدافع الأخوة الإنسانية المحضة تهديه هدية، أو تقدم له عملًا، أو تقضي له حاجة، لو تركت الإنسان لم يؤنبك الضمير على ترك الإحسان، لأنَّ الإحسان تفضُّل محض، وعطف محض، والإحسان من أروع الأخلاق، القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[1]، ويقول في آية أخرى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

(١) سورة النحل: آية ٩٠.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٤.

التعريف الثالث: تعريف سارتر.

سارتر يقول: الخلق هو اتفاق اجتماعي، فمثلًا: أنا لا أظلمك حتى لا تظلمني، فبيننا اتفاق، أنا لا أكذب عليك حتى لا تكذب عليَّ، أنا لا أغشك حتى لا تغشني، فالخلق هو عبارة عن نظام اجتماعي اخترعه المجتمع العقلائي من أجل أن تبقى الحياة الاجتماعية حياة مستقرة، هذا هو الخلق، ليس الخلق ما كان تجاوزًا للأنا كما عرَّفه ديكارت، وليس الخلق ما كان بدافع الإحساس بالمسؤولية أو انطلاقًا من الضمير كما يعرفه كانت، وإنَّما الخلق هو ما كان انطلاقًا من بناء اجتماعي واتفاق اجتماعي، لا أكذب على أحد حتى لا يكذب عليَّ أحد، ولا أخون أحدًا حتى لا يخونني أحد، ولا أظلم أحدًا حتى لا يظلمني أحد، هذه هي المسألة، الخلق يرجع إلى تعاون واتفاق اجتماعي بين أبناء المجتمع البشري.

ديورانت في كتابه (مباهج الفلسفة) يسمِّيه بغريزة الذكاء، أيْ: أنَّ الخلق ينطلق من ذكاء معين، أنْ تفهم أنَّك إن كذبت كُذِب عليك، وإن ظلمت ظُلِمت، ولذلك عليك أن تترك الكذب والخيانة والظلم والغش وغير ذلك؛ لأنَّ هذه الأفعال لو ارتكبتها لقوبلت بمثلها، هذا هو معنى الخلق.

ومن الواضح أنَّ هذا التعريف ليس دقيقًا أبدًا؛ لأنَّ هذا يعني أنَّهُ لا أخلاق للأقوياء، الأخلاق للضعفاء فقط الذين يخافون من الآخرين، أمَّا الأقوياء فلا أخلاق لهم، ما دام المنطلق للخلق هو الخوف من الغير، هو الخوف من أن يقابلني غيري بمثل ما قابلته، إذن سوف يختص الخلق بالضعفاء الذين يخافون الآخرين، أمَّا لو تمكن الإنسان وأصبح رئيس دولة لا يخاف من أحد، ولا يخشى أن يظلمه أحد، ولا يخشى أن يكذب عليه أحد، ولا يخشى أن يغشه أحد، إذن هذا الشخص غير محتاج إلى الأخلاق!

إذا كان المنطلق للخلق هو الخوف من رد الفعل أو من المقابلة بالمثل فمعنى ذلك أنَّ الخلق لا ينطبق إلَّا على الأشخاص المتساوين في القوة

والدرجة، ولا يكون شاملًا للأقوياء المستغنين عن الآخرين، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[1]، إذا رأى نفسه قد استغنى عن الآخرين فإنَّهُ يطغى ويفعل ما يشاء.

التعريف الصحيح:

كلُّ التعريفات التي ذكرناها للأخلاق لم نقبلها، فما هو التعريف الصحيح للخلق؟ ما هو الميزان للفعل الخلقي عن الفعل الطبيعي؟ الخلق هو حبُّ الجمال، كلُّ عمل يصدر عنك منطلقًا من حبِّك للجمال فهو خلق، نرجع إلى الحبِّ الذي هو محور حديثنا، من أجل أن نشرح هذا المعنى نقول: الإنسان بفطرته يحب الجمال، لا يوجد إنسان لا يحبُّ الجمال، القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[2]، الخير هو الجمال.

الإنسان بطبعه يحبُّ الخير، يحبُّ الجمال، والجمال لا ينحصر في الجمال الحسِّي، وهو تناسق الأجزاء، إذا رأيت وجهًا متناسقًا، العين متناسقة مع الأنف والفم، إذا تناسقت أجزاء الوجه اتَّصف الوجه بالجمال، فالجمال هو تناسق أجزاء الصورة، كلِّ صورة تتناسق أجزاؤها، لا يزيد جزء على آخر، ولا يتعدى جزء على آخر، كلُّ صورة متناسقة الأجزاء فهي صورة جميلة، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[3]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[4].

بما أنَّ الجمال هو التناسق، إذن الجمال لا ينحصر في جمال الصور، بل حتى الأفعال تكون أفعالًا جميلة، التناسق قد يكون في الصور وقد يكون في الأفعال، وبذلك يصبح الفعل جميلًا كما تصبح الصورة جميلة، فمثلًا: الإنسان يمتلك ثلاث قوى: القوة الغضبية، وهي القوة التي تحفز الإنسان على أن يثأر، والقوة الشهوية، وهي التي تحفز الإنسان على أن يشبع رغباته وميوله، كما يقول القرآن

(١) سورة العلق: آية ٦، ٧.
(٢) سورة العاديات: آية ٦، ٧، ٨.
(٣) سورة الانفطار: آية ٨.
(٤) سورة التين: آية ٤.

الكريم: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ﴾[1]، النفس الأمارة هي القوة الشهوية، والقوة الثالثة هي القوة العقلية، وهي التي تفكر وتحلل.

كلُّ قوة من هذه القوى الثلاث ما لم تكن متناسقة يحصل خلل في شخصية الإنسان، فالإنسان في القوة الغضبية مثلًا على نوعين: هناك إنسان بارد جبان، حتى لو ضُرِب مليون مرة فإنَّهُ لا يتحرك ولا يثأر ولا يتكلم، وهناك إنسان يغضب لأدنى سبب، وينفعل لأدنى سبب، كلا النوعين لا يعيش تناسقًا في القوة الغضبية، القوة الغضبية حتى تكون خلقًا لابد من أن تصبح جميلة، ولا تصبح القوة الغضبية جميلة إلَّا إذا كانت متناسقة، ولا تصبح القوة الغضبية متناسقة إلَّا إذا عاشت وسطًا بين الإفراط والتفريط.

الإنسان الذي لا يغضب لأدنى سبب، لكنه يغضب لمبادئه وقيمه، فإنَّهُ يعيش فعلًا خلقيًّا، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[2]، أي: يعيشون حالة وسطاً، القوة الغضبية عندهم تعيش تناسقًا واعتدالًا ووسطية، لا هم جبناء ولا هم انفعاليون، الإنسان الذي ليس انفعاليًّا ولا جبانًا بل يعيش وسطًا، هو يعيش خلقًا جميلًا، يسمَّى ذلك الخلق بالحلم، الحلم هو حالة وسط بين الغضب والجبن، هو ليس جبانًا ولا غضوبًا، بل هو حليم، الحلم هو الحالة الوسط.

نأتي إلى القوة الشهوية: كلُّ إنسان عنده شهوات، لكن هناك نوعًا من الناس بارد لا يشبع شهوته بشيء أبدًا، لا يطلب، لا يرغب في شيء، هذا إنسان يعيش خمولًا، وهناك إنسان كلُّ وقته في شهواته، كلُّ وقته يصرفه في إشباع شهواته، هذا إنسان يعيش شرهًا. نريد تناسقًا في القوة الشهوية، نريد وسطية في القوة الشهوية، لا شره ولا خمول، الحالة الوسط في القوة الشهوية تسمَّى عفة، ولذلك كانت العفة خلقًا؛ لأنَّها وسط واعتدال بين الشره والخمول.

(١) سورة يوسف: آية ٥٣.

(٢) سورة الفتح: آية ٢٩.

إذن، الخلق هو العمل الذي يصدر بدافع حبِّ الجمال، والجمال - كما قلنا - كما يكون جمالًا حسيًّا في الصور يكون جمالًا خلقيًّا عمليًّا سلوكيًّا، والجمال السلوكي هو عبارة عن أن تكون القوى الإنسانية وسطية بين الإفراط والتفريط، القوة الغضبية، القوة الشهوية، القوة العقلية. إذن، رجعنا إلى مركز كلامنا، الحبُّ هو مفتاح الأخلاق، لأنَّ الخلق هو الفعل الصادر عن حبِّ الجمال.

[موقع شبكة يا مهدي الإسلامية]

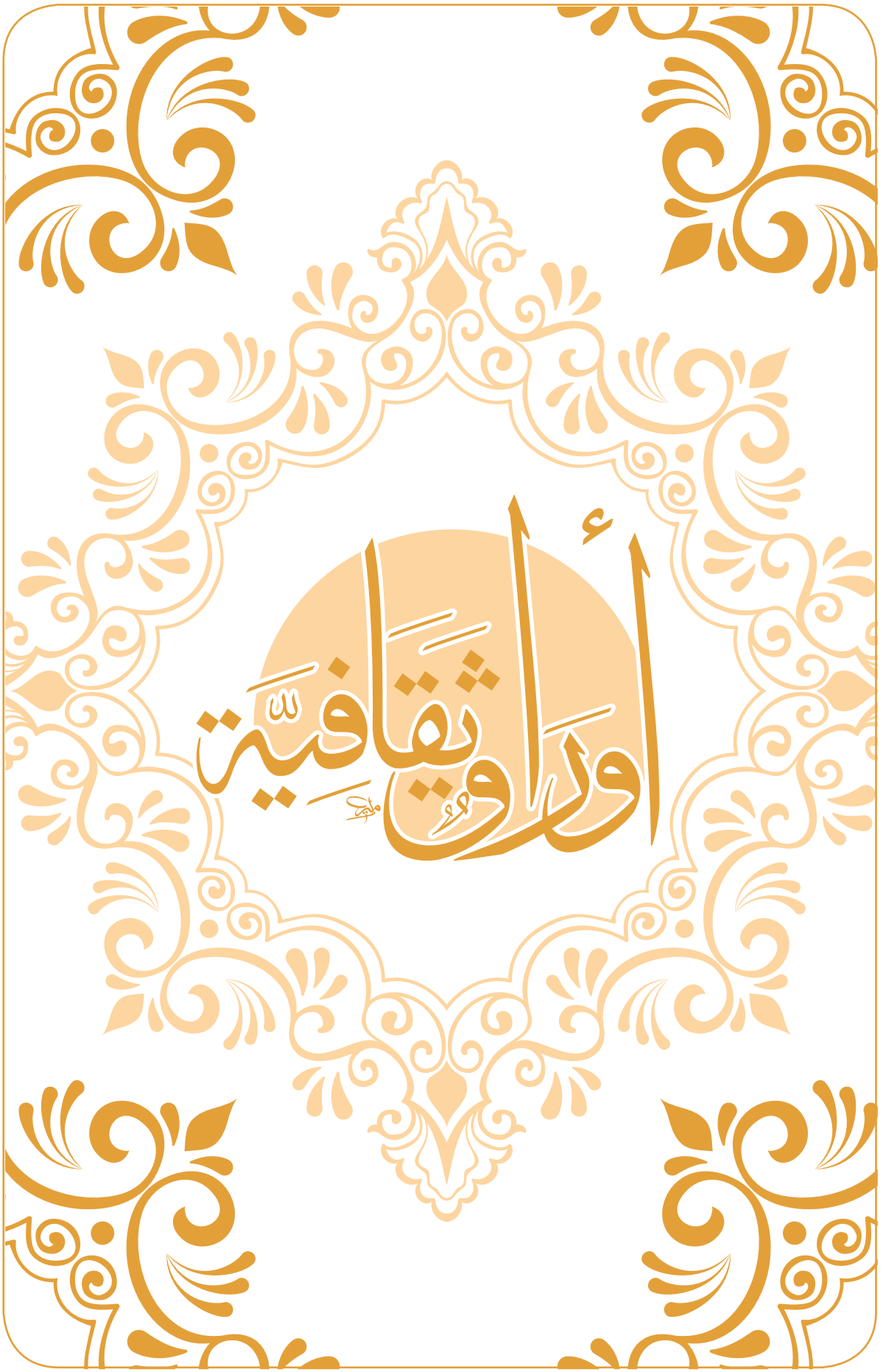
أوراد ثقافية

أهميَّة الكتاب والقلم في الروايات

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

وردت روايـات كثيرة عـن النَّبيِّ الأكرمﷺ والأئمَّة المعصومينعليهم السلام في بيان أهميَّة الكتاب والكتابة، وإليك نماذج من تلك الروايات:

١- ورد في حديث عن رسول اللهﷺ أنَّه قال: «قَيِّدوا العِلْمَ. فقيل: يا رسول الله، وَما تَقْييدُهُ؟».

قالﷺ: «كِتابَتُهُ»[١].

٢- وفي حديث آخر عنه أيضاً: «اكْتُبُوا العِلْمَ قَبْلَ ذَهاب الْعُلَماءِ وَإِنَّما ذَهاب العِلْمِ بِمَوتِ الْعُلَماءِ»[٢].

٣- قال الإمام الصَّادقعليه السلام لأحد أصحابه: «أُكْتُبْ وبُثَّ عِلْمَكَ فِي إخوتِكَ فإنْ مِتَّ فورِّثْ كُتُبَكَ بنيك، فإنَّهُ يأتي على النَّاس زَمانُ هَرَجٍ ما يأنسونَ فيه إلَّا بِكُتبِهِمْ»[٣].

٤- وفي حديث آخر عنه أيضاً: «مَنَّ اللَّهُ على النَّاس بَرِّهم وفاجِرِهِمْ بالكتاب والحسابِ ولولا ذلك لتغالطوا»[٤].

٥- يقول أمير المؤمنينعليه السلام في حديث رائع جدًّا ومختصر: «الكُتُبُ بَساتِينُ العُلَماءِ»[٥].

والبساتين لها هواء لطيف، ولها مناظر خلَّابة، وفيها أنواع الثمار، وفيها أنواع الأوراق والورود والأعشاب الطبيَّة، وفي الحقيقة، فإنَّ الكتاب له كلُّ تلك الآثار.

٦- وفي حديث آخر عن رسول اللهﷺ، ورد بتعبير رائع جدًّا يُبيِّن فيه

(١) بحار الأنوار: ج٢، ص١٥١.
(٢) كنز العمال: ح ٢٨٧٣٣.
(٣) بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٥٠.
(٤) فروع الكافي: ج ٥، ص ١٥٥.
(٥) غرر الحكم.

أهميَّة الكتاب والكتابة بطرز محيِّر للعقول، يقول ﷺ: «ثلاثٌ تخرقُ الحجبَ، وتنتهي إلى ما بين يدي اللَّه: صريرُ أقلامِ العلماءِ، ووَطءُ أقدام المجاهدينَ، وصوتُ مغازلِ المُحصَناتِ»[1].

وفي الواقع، كلُّ واحدٍ من هذه الأصوات الثّلاثة خفيٌّ في الظَّاهر إلَّا أنَّه في باطنه وواقعهِ جوهري، وكلُّ واحدٍ منها إشارة إلى إحدى المسائل الأساسيَّة في المجتمعات البشريَّة «العلم والكتابة» «الجهاد والشَّهادة» «السَّعي والعمل»!

٧- يقول الإمام الصَّادق عليه السلام للمفضَّل ضمن بيان نعم الله العظيمة على البشرية:

«وكَذَلِكَ الكِتابَةُ الَّتي بِها تُقَيَّدُ أخْبارُ الْماضِيْنَ لِلْباقينَ وَأَخْبارُ الْباقينَ لِلآتينَ وَبِها تُخَلَّدُ الْكُتُبُ فِي الْعُلُومِ وَالآدابِ وَغَيْرِها وَبِها يَحْفَظُ الإنْسانُ ذِكْرَ ما يَجْري بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُعامِلاتِ وَالْحِسابِ، وَلَوْلاهُ لانْقَطَعَ أخبارُ بَعْضِ الأزْمِنَةِ عَنْ بَعْضٍ، وَأَخْبارُ الْغائبينَ عَنْ أوْطانِهِم، وَدَرَسَتِ الْعُلُومُ وَضاعَتِ الآدابُ، وَعَظُمَ ما يَدْخُلُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِهِمْ وَمُعامِلاتِهِمْ، وَما يَحْتاجُونَ إلَى النَّظَرِ فِيهِ مِنْ أمْرِ دِينِهِمْ وَما رُوِيَ لَهُمْ مِمَّا لا يَسَعُهُمْ جَهْلُهُ»[2].

٨- ونختم هذا البحث برواية عن رسول الله ﷺ تكشف الستار عن أهميَّة بقاء الآثار العلمية بواسطة الكتابة، وتدعو العلماء وتحفزهم وتشدُّهُمْ إلى ذلك، يقول ﷺ: «الْمُؤمِنُ إذا ماتَ وَتَرَكَ وَرَقَةً واحِدَةً عَلَيْها عِلْمٌ، تَكُونُ تِلْكَ الْوَرَقَةُ يَوْمَ القِيامَةِ سِتْراً فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وَأعْطاهُ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِكُلِّ حَرْفٍ مَكْتُوبٍ عَلَيْها مَدينَةً أوْسَعُ مِنَ الدُّنْيا سَبْعَ مَرَّاتٍ»[3].

[نفحات القرآن: ج١٠، ص٢٥٦-٢٥٧]

(١) الشهاب في الحكم والآداب: ص ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٨، ص ٢٥٧.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ١٩٨.

فوائد في كتابة البحث

السيد محمود المقدس الغريفي

هذه بعض النقاط التي سطَّرتها على عجالة من الأمر وبهيئةٍ موجزة ومحددة، لما فيها نفع للباحث وطالب العلم في بدء مسيرته بالتأليف وكتابة البحوث ونشرها، وهذه النقاط هي في الجملة من وحي تجربتي المتواضعة مع الكتابة والتأليف والتحقيق - كما طُلِب منَّا ذلك- وما استفدته من بعض أساتذتي وبعض المحققين الأعلام، وقد نمت هذه التجربة المتواضعة نتيجة تراكم الخبرات والتتبع والسؤال، وذلك لحاجة الكاتب دوماً إلى بيان أوضح، ونظرة أصوب، وصورة أدق، مع برهان وحجَّة أقوى، واستنتاج واقعي صائب، كلُّ ذلك يحوطه التسديد والتوفيق.

الكتابة صنعة وممارسة وفن ذوقي، غايتها ومقصدها التعبير عن أمر وشأن معرفي مطلقاً، وليست الكتابة هي غاية في ذاتها، وإنَّما هي:

- وسيلة للتثقيف والدعوة والإعلان ونشر المعارف وبيان الحقائق التي توصَّل إليها الكاتب.

- أو التأكيد على حقائق ثابتة

وموجودة بطريقة أخرى وبأسلوب مغاير.

- أو التركيز على كلِّ ما ينفع الناس وينمِّي قدراتهم المعرفية، وما يتطلعون لمعرفته وكشف حقيقته في المجالات المعرفية كافة.

وإنَّما قلنا: الكتابة صنعة؛ لأنَّها ممَّا يتعلَّمه الإنسان ويكتسب مزاياه، ويتقنه بالممارسة وطريقة العمل؛ لأنَّ لها مظاهر فنية بديعة، وأسلوباً راقياً، يُعرف ويميز من الذوق الأدبي للكاتب وطريقة عرضه وبيانه للموضوع، وهذا ما يميز كاتباً عن آخر.

ومن هذه النقاط وأهمها:

أوَّلاً: الإخلاص في العمل:

والتقرب به إلى الله تعالى، والتفاني في نشر المعرفة والفضيلة، والوقوف على الحقيقة بصورة موضوعية، بعيداً عن الانحياز والعاطفة، والهدف الأوكد المرجوُّ من ذلك هو إعلاء كلمة الحق وتثبيت المبدأ الصائب ونشر المعرفة والعلم الذي ينفع الناس؛ للحصول على الثواب الجزيل من الله تعالى... وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّما الأعمال بالنيات ولكلِّ امرئٍ ما نوى**»[1]. فإذا كانت نيته لله تعالى فأجره على الله تعالى، وإذا كانت لغيره فأجره عليه، ولا شيء، ولكن اعلم أنَّ ما كان لله ينمو.

هذا، ونجد من الناحية العملية أنَّ هناك كتباً أصبح لها شأن عظيم ومكانة سامية في الوسط الديني والحوزوي والمعرفي، وقد شملتها عناية المولى عزَّ وجلَّ وتأييداته، فأصبحت ذات نفع عام وانتشار واسعٍ بين القُرَّاء، وترى تداولها والطلب عليها كثيراً بينهم، مع تعدد الطبعات، مثل كتاب مفاتيح الجنان للشيخ القميِّ، بل بعضها أصبح منهجاً دراسيًّا بين طلَّاب العلم في الحوزات العلمية الشريفة مثل كتاب شرائع الإسلام وكتاب اللمعة الدمشقية وكتاب المكاسب وغيرها، ومن أهم أسباب خلود هذه الكتب وانتشارها هو الإخلاص لله تعالى

(١) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي: ج١ ص٨٣.

في العمل، بعيداً عن الرياء والمباهاة وطلب الشهرة، أو طلب المال والجاه ونحو ذلك... فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِيَّاكَ والرِّيَاءَ فَإِنَّه مَنْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَه اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَه»[1].

هذا، ولكنَّ كلَّ إنسان يحبُّ أن يُريَ عمله للآخرين ويعرض نتاج جهوده المثمرة لهم، وهذا جزء من شكر المنعم، فإنَّ الله عز وجل إذا أنعم على عبده نعمة أحبَّ أن يَرى أثر تلك النعمة عليه. وقد روي عنهم عليهم السلام: «أنَّ زكاة العلم نشره» وكتابة البحوث ونشر الكتب باب من هذه الأبواب المرغوبة للشارع المقدس، والعلم من نعم الله تعالى على العبد، ما دامت بعيدة عن الرياء والسمعة.

كما أنَّ من طبيعة الإنسان تأثره بالمحيط الاجتماعي، لاسيَّما إذا نشأ بين الأوساط العلمية والثقافية، فيكون هذا عاملاً محفزاً للإنتاج المعرفي والثقافي والنشاط العلمي، فإنَّ كلَّ شخص يُحبُّ رؤية ثمرة علمه وعمله وجهده ونتاجه على وجوه الناس وألسنتهم حتى يُعدَّ في زمرة الكتَّاب والمؤلِّفين والمحقِّقين، وهذا لا يُعدُّ من الرياء ما دام الإخلاص لله تعالى حاصلاً والقربة ثابتة، فقد روي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُه عَنِ الرَّجُلِ يَعْمَلُ الشَّيْءَ مِنَ الْخَيْرِ فَيَرَاه إِنْسَانٌ فَيَسُرُّه ذَلِكَ؟ فَقَالَ عليه السلام: «لَا بَأْسَ، مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ لَه فِي النَّاسِ الْخَيْرُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ صَنَعَ ذَلِكَ لِذَلِكَ»[2].

أيْ: إذا لم يطلب به وجه الناس.

وقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «إنِّي أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلَّا لله فيُذكر ذلك منِّي وأُحمد عليه فيسرني ذلك وأُعجب به؟

فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يقل شيئاً فنزلت الآية - ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3].

فعمله عمل صالح لله تعالى أوَّلاً وآخراً، لا للناس، وإن سرَّه كلام

(١) الكافي للكليني: ج٢ ص٢٩٣.

(٢) الكافي للكليني: ج٢ ص٢٩٧.

(٣) عدَّة الداعي لابن فهد الحلي: ص ٢٠٩.

الناس به وأعجبه ثناؤهم، ولكن الإخلاص والقربة ثابتة بالأصل.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلَّا مِن ثلاثٍ: علم ينتفع به، أو صدقة تجرى له، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

وهذا العلم الذي حثَّ عليه رسول الله ﷺ يكون عادة أطول عمراً وأبقى على مرِّ الزمان، دون الولد والصدقة الجارية، وترى الإنسان حريصاً على بقاء أثرٍ ما يُذكر به ويُخلَّد اسمه، ولا أفضل في ذلك من تدوين العلم ونشره.

ثانياً: اختيار موضوع البحث:

وأن يتناسب مع رغبة الكاتب وميوله، وأن يكون داخلاً في تخصصه وثقافته، وقد قيل: «إنَّ من لا يُدرِك غور العلم الذي يُصنِّف فيه لا يتمكن من التصنيف».

ولكن الخطيب البغدادي له رأي مخالف لذلك، حيث قال: «من أراد أن يستوعب علماً فعليه أن يُصنِّف فيه»؛ لأنَّهُ بالنتيجة سوف يراجع ويطالع كتباً كثيرة قبل الكتابة ويتابع مصنَّفات الآخرين وآراءهم، وهذا ما سيجعل له خزيناً معرفياً كبيراً في هذا العلم، وتكون كتابته عن دراية وتتبع، وقد أخبرنا أحد العلماء الأعلام من الكُتَّاب والمحققين الأجلَّاء أنَّهُ كان يكتب الكتاب لنفسه أوَّلاً؛ ليتعرَّف على الموضوع ويقف على غوامضه ومصطلحاته ويكشف أسراره، قبل أن يكون قصده الكتابة للقُرَّاء والباحثين، وقد استفدت شخصيًّا من هذه المقولة وطبقتُها عمليًّا في بعض أبواب التحقيق، حيث كنَّا في زمن النظام السابق نواجه قلَّة المصادر والكتب في علم الدراية، فحاولت أن أطور معرفتي فيها وأنمِّي معلوماتي في ميدان هذا العلم، فبحثت عن مخطوط في هذا العلم لتحقيقه، حتى وقعت يدي على كتاب (سبيل الهداية في علم الدراية) لآية الله الزاهد العابد المولى عليٍّ الخليلي قدس سره، فاشتغلت على تحقيقه بجدٍّ ومثابرة على أربع نسخ

(١) روضة الواعظين للفتَّال النيسابوري: ص١١.

خطِّية، وتمت طباعته في بيروت، ثُمَّ طلبت طباعته (جماعة المدرسين بقم المشرفة) بعد أن اتَّصلوا بنا وأجزناهم في طباعته، وقد نفدت نسخ الطبعتين تقريباً.

ثُمَّ على كاتب البحث أن تكون له الرغبة في موضوع البحث محبًّا له حتى يتفاعل معه ويأنس به، حتى يعلَق في الذهن ويتداخل مع الكاتب بصورة عضوية ويلازمه أينما حلَّ وارتحل، فيتأمل فيه متواصلاً، ويفكر به في أغلب حالاته وسكناته، حتى عند الرقود للنوم يخطر عليه، وهذا واضح لمن تلبَّس بالكتابة وتفاعلت نفسُه مع الموضوع.

فقد تَرد عليه حين ذلك فكرةٌ أو نظرية أو رأي أو نكتة علمية أو نقد وردٌّ، وهو في غير حال الكتابة؛ لأنَّ شعوره الذهني والنفسي يكون ممتلئاً بالموضوع ومتفاعلاً معه، وهو في مثل هذا الحال يثير فيه التساؤلات والاستفسارات دوماً حول محاور البحث، وينشدُّ إليه في البحث والتتبع وإيجاد الحلول والأجوبة، فيقوم بتحريك الدوافع الذهنية والنفسية بل حتى البدنية أحياناً؛ وذلك بالسفر والتنقل للبحث عن المصادر والكتب والسؤال والاستفسار، وإلى اكتشاف مكنونات البحث وبيان تفرعاته والبحث عن معطياته غير المكشوفة. ويتعزَّز ذلك فيما إذا كان اختيار موضوع البحث يتناسب مع رغبة الكاتب وميوله وداخلاً في تخصصه، فيأنس به ويتمكن من الإحاطة بمعالمه.

وأمَّا انعدام الرغبة في كتابة الموضوع والتعلُّق الذهني به وانعدام الدافع لكتابته؛ فإنَّ ذلك يبعث الملل والكسل عند الكاتب، ويؤدي إلى الإهمال والتلكؤ ونسيان البحث...

نعم، ربما يقطع الكاتب مشواراً طويلاً في كتابة البحث، وهذا سبب مهم لازدياد تعلُّقه في الموضوع وشدة رغبته في إتمامه أكثر، لا سيَّما إذا كانت في موضوع البحث أفكارٌ بنَّاءة ورؤى حديثة ونظريات غير مطروقة، فإنَّ الهدف هو الوصول لحقائق الأمور وبيان ما ينير القارئ في إطار رفد

الثقافة في المجتمع ونشر القيم المعرفية.

ثالثًا: بيان فكرة البحث وأهميته والغاية من كتابته وأهدافه:

وعَرْض ذلك في مقدمة البحث بشكل واضح، مع بيان خطة عمله في البحث ومنهجيته المتَّبعَة، فإنَّ عرض الدواعي والأسباب لكتابة البحث توجب رغبة القارئ لقراءة البحث والشوق إليه، لاسيَّما إذا كانت الدواعي واقعية وهادفة.

أمَّا كيفية ولادة موضوع البحث، فإنَّ الكاتب ابن بيئته وابن المجتمع، ويرى ويسمع ويعيش ما فيه من سلبيات، وما يطرأ عليه من شبهات، وما تثار فيه من إشكاليات معرفية ونحو ذلك، فالكاتب النبيه يقتنص من تلك العوارض ما يكون موضوعاً له يبحث فيه، فيوضح صورها للناس ويكشف غوامضها ويرفع الإشكالات عنهم؛ بقوة البيان والحجَّة والدليل.

إنَّ ولادة موضوع البحث ابتداء قد تنتج عن حافز أو دافع ما، تلفُّهُ الرغبة والحبُّ في الكشف عن هذا المطلب أو الموضوع وإيضاح مكنوناته، كأن يكون ناتجاً عن تساؤل شخصي لحالة تفكرية تأمليَّة خاصة بالكاتب عند ورود شيء غامض عليه، أو لم يفسر مما ينشغل الذهن به ولا تستقر النفس له، فيندفع للبحث عنه حتى يجد الإجابة ويرتاح هو وينفع الناس بها[1]، أو لإحياء شخصية مغمورة، أو لم يسلط الضوء عليها وكان لها دورٌ فاعلٌ في المنظومة المعرفية أو في المجتمع، أو لقضية ما وغاية تحيط تلك الشخصية ونصرة لها أو وفاء لأخرى...[2]، أو

(١) كما في كتابنا (الطلقاء في الإسلام حقيقتهم وأحكامهم) الذي نتج عن تساؤل مع النفس وعن سبب تعيير الإمام أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام معاوية بأنَّهُ من الطلقاء، وكذا ابنته العقيلة زينب حينما وقفت بوجه يزيد وغيرهم من الصحابة الذين أشكلوا على عثمان وغيره بأنَّهُ أعطى مقاليد الأمور للطلقاء وأبناء الطلقاء.

(٢) كتبنا وفاء لأستاذنا العلامة الشيخ محمد رضا العامري الحويزي رحمه الله كتاباً عن حياته وسيرته، وسمناه بـ(أستاذ الجيلين)، وكذا عن المؤرخ السيد حسون البراقي نصرة له وحفاظاً على تراثه من السرقة والنهب، وسمناه بـ(حياة قلم لم يمت- السيد حسون البراقي، حياته وآثاره) وغيرهما.

مسألة ما تدور في ذهنه وتساؤل يريد بيانه للناس، أو هناك إشكالية معينة عنده يريد حلَّها والجواب عنها وإفادة المجتمع من تلك النتائج ككتب الشبهات والردود والإشكالات العقدية ونحوها، أو ناتج عن صدًى اجتماعي[1]، أو سياسي[2] أو ثقافي[3] ونحو ذلك. فيندفع الكاتب للبحث عن إحدى هذه الموضوعات الواقعية وبيان حقائقها وعرض تفصيلاتها المعرفيَّة وصورها التاريخية؛ لِيوقف الناس على تلك الحقائق والمعارف وأبعادها، كما حدث ذلك لنا بصورة شخصية وما أثَّر فينا أثراً كبيراً، نتيجة ما فعلته (داعش) في الموصل من اتلاف الآثار العراقية القديمة للآشوريين والأكديين ونحوهما بحجَّة أنَّها تراث محرم تجب إزالته، فأثَّرت هذه الجملة والتصرف غير المسؤول والهمجي من (الدواعش) في نفسي بصورة كبيرة فشمَّرتُ عن ساعدي وكتبتُ بحثاً فقهيًّا بعنوان (فقه الآثار البابلية والسومرية والفرعونية وما شاكلها)، وبيَّنتُ حكمَها الفقهي، ثُمَّ ناقشنا هل هي آثار محرمة تجب إزالتها، وفنَّدنا آراء هذه المجموعة الضالَّة والشاذة عن قيم الإسلام والمدنية.

وقد يكون اختيار الكاتب للموضوع ناتجاً من عدم وضوح مطالب الموضوع عند مَن كتب قبله، وأنَّهُ ليس له خبرة فيما كتب، أو كان للموضوع أثر حيوي في المجتمع ودور فاعل وأصبح من المشاكل العالقة الشائعة، فيحتاج إلى إعادة النظر فيه بأسلوب جديد وبناء آخر، أو هناك شبهة معروضة يحتاج إلى إزالتها بالإجابة عنها وبيانها بصورة مغايرة ومختلفة طريقةً وأسلوباً وعرضاً، وأنَّ

(١) كما ناقشنا الظاهرة الاجتماعية السيئة وهي إطلاق العيارات النارية في المدن الآهلة بالسكان، في كتابنا (إطلاق العيارات النارية في الأفراح والأتراح في المنظور الفقهي) أو ظاهرة انتشار الألعاب الرياضية المتنوعة في المجتمع وأثرها فيه، وذلك في كتاب (فقه الرياضة والألعاب الحديثة) وغيرها.

(٢) كما في تحقيقنا وشرحنا رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى النجاشي والي الأهواز في كيفية إدارة الحكم والتعامل مع الرعية.

(٣) كما في بحثنا عن (فقه الإعلام- المنبر الحسيني أنموذجاً)، وكذا بحثنا عن (التمثيل والتشبيه في الشعائر الحسينية- فقه المسرح الملتزم) وغيرهما.

للكاتب القدرة على ذلك ونحوها من الأسباب، ويقتضي أن يكون البحث الجديد يتخلل إضافات جديدة ينتفع منها القارئ، ونكات مهمة، حتى لا يكون اجتراراً لما سبقه.

ولا يضر الكاتب فيما إذا سبقه أحد في الكتابة عن نفس الموضوع، خصوصاً مع نضوج أفكار جديدة لديه وتطورها، وبناء رؤى جديدة، وإضافات متنوعة، وبأسلوب وبيان آخر يكون نافعاً للقارئ، فإنَّ التكرار هنا يكون من باب التذكير وإضافة جديدة للقارئ فـ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

هذا واعلم -أخي العزيز- أنَّ الأفكار الأساسية والداعمة للبحث قد تأتي للباحث وتمر مرور السحاب وفي أيِّ وقت أو ظرف، فربما تأتي الفكرة عند النوم، أو عند الأكل، بل وحتى عند التحدث مع الآخرين ومن خلال كلامهم وإن كانوا أناساً عاديين لا يحملون علماً خاصاً أو معرفة تخصصية، وقد رأيت بعض العلماء وهو يحدثنا فأخذ قلماً وبدأ يكتب، فسألته عن ذلك فأجاب: كان عندي تساؤل عن أمر ما وعجزت عن التعبير عنه لأيام، والآن من خلال الكلام انقدح في ذهني ما أصبو إليه، فقيَّدتُ ذلك حتى لا أنساه ولا تضيع الفكرة. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قيدوا العلم بالكتاب**[1]» فإنَّ العلم يُنسى ويضيع بالترك والإهمال. فاحبس الفكرة متى وصلتك وقيدها بالكتابة حتى لا تهرب منك وتضيع.

وفي عصرنا الحالي هناك من الآلات الذكية ما يسهل الأمر كثيراً، والتي يمكن بوساطتها الاحتفاظ بالفكرة سريعاً، وذلك ببصمة صوتية مثلاً على الجهاز النقال، ريثما يعود الكاتب إليها ليصيغها بأسلوبه وطريقة كتابته.

[أصول التأليف وكتابة البحث والمقال]

(١) تحف العقول للحرَّاني: ص٣٦.

فقه اللغة وعلم اللغة

د. صبحي الصالح

من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة؛ لأنَّ جُلَّ مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب، قديمًا وحديثًا، وقد سمح هذا التداخل أحيانًا بإطلاق كلٍّ من التسميتين على الأخرى، حتى غدا العلماء يسردون البحوث اللغوية التي تسلك عادة في علم اللغة، ثُمَّ يقولون: وفقه اللغة يشمل معظم البحوث السابقة، ولا سيَّما إذا قورنت هذه البحوث بين لغتين أو لغات متعددة[1].

وإذا التمسنا التفرقة بين هذين الضربين من ضروب الدراسة اللغوية، من خلال التسميتين المختلفتين اللتين تطلقان عليهما، وجدناها تافهة لا وزن لها، فاسم على اللغة عند الفرنجة: Linguistiqus ou Science Du Langage، أيْ: العلم المختص بالكلام أو اللغة؛ واسم فقه اللغة عندهم: «philologie»، وهي كلمة مركبة من لفظين إغريقيين أحدهما philos بمعنى الصديق، والثاني Logos بمعنى الخطبة أو الكلام، فكأن واضع التسمية لاحظ أنَّ فقه اللغة يقوم على حبِّ الكلام، للتعمق في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه.

وعلى هذا النحو كان العلماء في عصر إحياء العلوم يفهمون «فقه اللغة»، بل كان هذا الاسم إذا أطلقوه لا ينصرف إلَّا إلى دراسة اللغتين الإغريقية واللاتينية؛ من حيث قواعدهما، وتاريخ أدبها، ونقد نصوصها، وأصبحنا اليوم نعد هذه الدراسة متحفية، ونسميها: «فقه اللغة الاتباعي» philologie Classique وربما لا يكون مفهوم

(١) نظر على سبيل المثال «علم اللغة» لوافي ١٢، وهذه الطريقة في الدراسة تسمَّى حينئذٍ الطريقة المقارنة method comparee. وراجع ما يتلعق بها في كتاب بيرو:
perrot، Linguistiqus72.

علمائنا القدامى لـ«فقه اللغة» شديد الاختلاف عمَّا أصبحنا نسميه: «فقه اللغة الاتباعي» إلَّا في مواطن قليلة؛ فسنرى أنَّ كثيرًا من مباحث القوم في اللغة كان يتناول العربية الفصحى؛ من حيث قواعدها، وتاريخ أدبها، ونقد نصوصها، فقابلت الفصحى عندهم الإغريقية واللاتينية الفرنجة. ومع أنَّ دراساتنا هذه اشتملت على طائفة من المباحث خرجت عن النطاق الاتباعي التقليدي، آثرنا عندها ملحقة بفقه اللغة؛ لأنَّها قصرت على إبراز خصائص لغتنا العربية، فكانت أجدر أن تسمَّى بالاسم الشائع عند العرب حين ألَّفوا في هذه الموضوعات، وإنَّهُ ليحلو لنا أن نقترح على الباحثين المعاصرين ألَّا يستبدلوا بهذه التسمية القديمة شيئًا، وأن يعمموها على جميع البحوث اللغوية؛ لأنَّ كلَّ علم لشيء فهو فقه، فما أجدر هذه الدراسات جميعًا أن تسمَّى فقهًا!

[دراسات في فقه اللغة]

يابن الهداة الأكرمين

أبو الحسن علاء الدين الشيخ علي بن الحسين الحلي الشفهيني[1].

يا بن الهداة الأكرمين ومن ... شرف الفخار بهم ولا فخرُ
قسماً بمثواك الشريف وما ... ضمَّت مِنًى والركنُ والحجرُ
فَهُمُ سواء في الجلالة إذ ... بِهِم التمام يحلُّ والقصرُ
تعنو له الألباب تلبية ... ويطوف ظاهر حجره الحجرُ
ما طائر فقدَ الفراخ فلا ... يؤويه بعد فراخه وكرُ
بأشدِّ من حزني عليك ولا ... الخنساء جدَّد حزنها صخرُ
ولقد وددتُ بأن أراك وقد ... قلَّ النصير وفاتك النصرُ
حتَّى أكون لك الفداءُ كما ... كَرَماً فداك بنفسه الحرُّ

(١) عالم فاضل وأديب كامل وهو من المعاصرين للشهيد الأوَّل المقتول سنة ٧٨٦.

ولئن تفاوتَ بيننا زمن ... عن نصركم وتقادمَ العصرُ
فلا بكينَّك ما حييتُ أسًى ... حتَّى يواري أعظمي القبرُ
ولا منحنَّك كلَّ نادبةٍ ... يعنو لنظمِ قريضِها الشعرُ
أبكار فكري في محاسنها ... نَظْمٌ وفيض مدامعي نثرُ
ومصاب يومك يا بن فاطمةٍ ... ميعادُنا وسلوُّنا الحشرُ
أو فرحة بظهور قائمكم ... فيها لنا الإقبالُ والبشرُ
يوماً تردُّ الشمس ضاحيةً ... في الغرب ليس لعرفها نُكْرُ
وتكبّر الأملاك مسمعة ... إلَّا لمن في أذنه وقرُ
ظهر الإمامُ العالم العَلَمُ ... البرُّ التَّقيُّ الطاهرُ الطهرُ
مَن ركن بيت الله حاجبه ... عيسى المسيح وأحمدُ الخضرُ
في جحفلٍ لجبٍ يكاد بهم ... مِن كثرةٍ يتضايق القَطْرُ
فَهُمُ النجومُ الزاهراتُ بدا ... في تمِّهِ من بينها البَدرُ
عجِّل قدومك يابن فاطمةٍ ... قد مسَّ شيعة جدك الضرُّ
علماؤهم تحت الخمول فلا ... نفعٌ لأنفسهم ولا ضرُّ
يتظاهرون بغير ما اعتقدوا ... لا قوةً لهمُ ولا ظهرُ
استعذبوا مرَّ الأذى فَحَلا ... لهمُ ويحلو فيكم المرُّ
فهم الأقلُّ الأكثرون ومن ... ربِّ العباد نصيبهم وَفْرُ
أعلامُ دين رُسِّخٌ لَهُمُ ... في نشرِ كل فضيلة صدرُ
فكفاهم فخراً إذا افتخروا ... ما دام حيًّا فيهم الفخرُ
وصَلوا نهارَهمُ بليلِهِمُ ... نظراً ومالو صالهم هجرُ
وطووا على مضضٍ سرائرهِم ... صبراً وليس لطيِّها نشرُ
حتَّى يفضَّ ختامُها وبِكُم ... يطفى بُعيد شرارها الشَّرُّ

يـــا غـــائـــبـين مـتـى بـقـربـكـم ... مـــن بـعـد وهـــنٍ يُجـــبرُ الـكـسرُ
الـــفـــيءُ مـقـتـسـمٌ لـغـيركُـمُ ... وأكـفُّـكـم مـن فـيئكم صـفْـرُ
والمـــــالُ حـــلٌّ لـلـعـصـاة ويحـر ... مُـــهُ الـكـــرامُ الـســادةُ الـغـرُّ
فـنـصـيـبـهُـم مـنـه الأعـــمُّ عـلى ... عـصـيـانِـهـم ونـصـيـبُـكُـم نُـــزْرُ
يـمـسـون في أمـــنٍ ولـيـس لهـم ... مـــن طـــارقٍ يـغـتـالهـم حـــذرُ
ويـكـاد مـن خـوفٍ ومـن جـزعٍ ... بِـكُـمُ يـضـيـقُ الـــبَرُّ والـبـحـرُ

ومنها:

وإذا ذُكِـــرتُـــم في محـافـلِـهـم ... فـوجـوهـهـم مُـــرْبَـــدَّة صـفْـرُ
يـتـمـيـزون لـذكـركُـم حَـنَـقـاً ... وعـيـونهـم مـــــزورَّة خـــزرُ
وعـــلى المـنـابـر في بـيـوتـكُـمُ ... لأولي الـضـلالـةِ الـعَـمى ذِكْـــرُ
حـــالٌ يـسـوء ذوي الـنُّـهى وبـهِ ... يـسـتـبـشرُ المـتـجـاهـلُ الـغـمْـرُ
ويُـصـفِّـقـون عـلى أكـفِّـهـمُ ... فـرحـاً إذا مـا أقـبـلَ الـعَـشْرُ
جـعـلـوهُ مـن أهـنـى مـواسـمـهـم ... لا مـرحـبـاً بـكَ أيُّهـا الـشَـهْـرُ
تـلـك الأنـامـلُ مـن دمـائـكُـمُ ... يـوم الـطـفـوف خـضـيـبـةٌ حُـمْـرُ
فـتـوارث الهـمـج الخـضـاب فَـمِـن ... كُـفـرٍ تـولَّـدَ ذلـكَ الـكـفـرُ
نـبـكـي فـيـضـحـكـهـم مـصـابـكُـمُ ... وسـرورهـــم بـمـصـابـكُـمْ نـكـرُ
تـــالله مـــا سرُّوا الـنـبـيَّ ولا ... لـوصـيِّـه بـسـرورهـــم سَرُّوا
فـــإلامَ هـــذا الانـتـظـار وفي ... هَـواتِـنـا مـن صـبـرنـا صـبـرُ
لـكـنّـه لا بـــدَّ مـــن فـــرجٍ ... والأمـــرُ يحـدثُ بـعـدَهُ الأمـــرُ
أبَـنِـي المـفـاخـرِ والـذيـن عـلا ... هُـــمُ عـلى هـــامِ الـسُّـهـا قـدرُ
أسـمـاؤكـم في الـذكـرِ مُـعـلَـنـةٌ ... يجـلـو محـاسـنَـهـا لـنـا الـذكـرُ
شـهِـدتْ بهـا الأعـــرافُ مـعـرفـةً ... والـنـحـل والأنـفـال والحـجْـرُ

وبـــــراءةٌ شـهـدتْ بـفـضـلِـكُـمُ ... والـــنـــورُ والـــفـــرقـــانُ والحـــشرُ

وتُـعـظِّـمُ الـــتـــوراةُ قـدرَكُـــمُ ... فـــإذا انـتـهى سِـفْـرٌ حكى سِـفْـرُ

ولـكـم مـنـاقـبُ قـد أحـــاطَ بهـا الـــ ... ـانجيلُ حـارَ لـوصـفِـهـا الـفِـكْـرُ

ولـكـم عـلـومُ الـغـايـبـاتِ فمنـ ... ـهَا الجـامـعُ المـخـزون والجِـفْـرُ

هـذا ولـو شـجـرُ الـبـسـيـطـةِ أقـلا ... مٌ وسـبـعـةُ أبـــحُـــرٍ حِـــبْـرُ

وفـسـيـحُ هـذي الأرضِ مجـمـلـةً ... طِـــرسٌ فـمـنـهـا الـسـهـلُ والـوعـرُ

والإنـــسُ والأمـــــلاكُ كـاتـبـةٌ ... والجـــنُّ حـتَّـى يـنـقـضي الـعُـمْـرُ

لـيـعـدِّدوا مـا فـيـه خـصَّـكُـمُ ... ذو الـعـرشِ حـتَّـى يـنـفـدَ الـدهـرُ

لم يـذكـروا عُـشْـرَ الـعـشـيرِ وهـلْ ... يُـحـصى الحَـصـا أو يُـحـصرُ الـــدُّرُّ

فـأنـا المـقـصُّر في مـديحِـكُـمُ ... حـــصراً فـمـا لمـقـصِّرٍ عُـــذْرُ

ولـقـد بُـلـوتُ مـن الـزمـان وَلي ... في كـــلِّ تجـربـةٍ بِهـــمْ خُـــبْرُ

فـوجـدتُ ربَّ الـفـقـرِ مُحـتـقَـراً ... وأخـــو الـغـنـى يَـزهـو بـهِ الـكِـبْرُ

فَـقَـطَـعْـتُ عَـــمَّا خـوَّلـوا أمـلي ... ولـذي الجـلال الحَـمْـدُ والـشُّـكْـرُ

[أدب الطف: ج٤ ص١٦٥]

بعض الحقوق

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

وَأَمَّا حَقُّ الْجَارِ فَحِفْظُهُ غَائِباً، وَكَرَامَتُهُ شَاهِداً، وَنُصْرَتُهُ وَمَعُونَتُهُ فِي الْحَالَيْنِ جَمِيعاً، لَا تَتَبَّعْ لَهُ عَوْرَةً، وَلَا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سَوْءَةٍ لِتَعْرِفَهَا فَإِنْ عَرَفْتَهَا مِنْهُ عَنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْكَ وَلَا تَكَلُّفٍ كُنْتَ لِمَا عَلِمْتَ حِصْناً حَصِيناً وَسِتْراً سَتِيراً لَوْ بَحَثَتِ الْأَسِنَّةُ عَنْهُ ضَمِيراً لَمْ تَتَّصِلْ إِلَيْهِ لِانْطِوَائِهِ عَلَيْهِ لَا تَسْتَمِعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ لَا تُسْلِمْهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ وَلَا تَحْسُدْهُ عِنْدَ نِعْمَةٍ تُقِيلُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ زَلَّتَهُ وَلَا تَدَّخِرْ حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ وَلَا تَخْرُجْ أَنْ تَكُونَ سِلْماً لَهُ تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتِيمَةِ وَتُبْطِلُ فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصِيحَةِ وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِالله.

وَأَمَّا حَقُّ الصَّاحِبِ فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالْفَضْلِ مَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَإِلَّا فَلَا أَقَلَّ مِنَ الْإِنْصَافِ وَأَنْ تُكْرِمَهُ كَمَا يُكْرِمُكَ وَتَحْفَظَهُ كَمَا يَحْفَظُكَ وَلَا يَسْبِقْكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَى مَكْرُمَةٍ فَإِنْ سَبَقَكَ كَافَأْتَهُ وَلَا تُقَصِّرْ بِهِ عَمَّا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَوَدَّةِ تُلْزِمُ نَفْسَكَ نَصِيحَتَهُ وَحِيَاطَتَهُ وَمُعَاضَدَتَهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ وَمَعُونَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا لَا يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلَا تَكُونُ عَلَيْهِ عَذَاباً وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِالله.

[رسالة الحقوق]